العدد ٧ ديسمبر ٢٠٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٤

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

تصدر عن
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾



مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



الهيئة العالمية لنصرة نبي الاسلام

International Organization to support the Prophet of Islam

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

محتويات العدد


علماء الهيئة

أنصار النبي ﷺ

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة

د. محمد الصغير

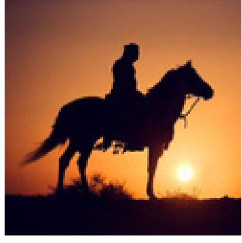
رئيس التحرير

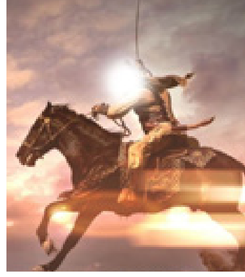
محمد إلهامي









أئمة الهدى

الصادعون بالحق

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

٣ تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

•• ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

•• ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : admin@ansarmag.com

الافتتاحية

أنصار النبي ﷺ

د. محمد الصغير



الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

من يطالع الصفحات الخالدة في سيرة النبي ﷺ، يجد في أعظم آثاره الجيل القرآني الفريد، الذي تخرج في مدرسته وظهرت عليه آثار تربيته، واستطاع أن ينقلهم من وصمات الجاهلية وأوضارها، إلى أعلى درجات السمو الإيماني والإنساني، حتى كأنك ترى خلقاً آخر، وضرباً من الإعجاز التربوي لو ادعي به الإعجاز لقبل منه المنصفون.

مقبرة البقيع

استوقفني في سيرة الصحب الأماجد، أنهم حققوا هذه المنازل ببذلهم لهذا الدين، ونصرتهم لإمام المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والمتابع لمسار الصحبة، يجد أنها قامت على التأييد والنصرة، فأول من آمن به ونصره امرأة هي أم المؤمنين الأولى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، التي لم تكتفِ بالإيمان والمتابعة، بل بدأت من اللحظة الأولى رحلة التأييد والمناصرة، فردت على رسول الله ﷺ عندما ذكر لها نزول الوحي، وقال إني خشيت على نفسي بقولها:



«كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل الحبر الذي فارق الجاهلية وكان على الحنيفية، وله علم بالكتب السابقة، فلما سمع أعلن إسلامه وتأييده، وتمنى لو أمهلته الأيام فنال شرف نصرة خير الأنام، وهو معدود في أوائل الصحابة على ما ظهر من قول المحققين.

تقول الرواية: فلما أخبره النبي ﷺ بما حدث معه في الغار، قال ورقة: «والّذي نفسي بيده! إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، وإن قومك سيكذبونك ويؤذونك ويخرجونك ويقاتلونك».

وقد تعجب رسول الله ﷺ حين قال ورقة له ذلك، لمعرفته بحب وتقدير قريش له، فلم يكن ينادونه إلا بالصادق الأمين، فقال ﷺ متعجّبا: «أَوَ مُخرجيّ هم؟!»، قال ورقة: «نعم، لم يأتِ رجل قَط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك [طالت بي الحياة] أنصرك نصراً مؤزراً».

تصديق بما سمع، وإيمان بما حصل من الوحي، ونية صالحة للمستقبل، قال الإمام ابن حجر: «فهذا ظاهره أنه أقر بنبوته، ولكنه مات قبل أن يدعو رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى الإسلام».

وقد أخبر النبي ﷺ أن ورقة من أهل الجنة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا ورقة بن نوفل، فإني قد رأيت له جنة أو جنتين». رواه الحاكم وصححه الألباني.

قال الحافظ العراقي: «هذا شاهد لما ذهب إليه جَمْعٌ مِن أن ورقة أسلم عند ابتداء الوحي».

ثم أسلم رجل الأمة الأول، وناصر النبي الأعظم، الذي أثبت الله له هذا الشرف في قوله تعالى وتقدّس:



﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [التوبة: ٤٠]

حيث قال علماء التفسير وكان أبو بكر رضي الله عنه من أسباب النصرة، ولو وقفنا عند أبي بكر ونصرته لرسوله ﷺ لاحتاج الأمر إلى سلسلة ذهبية لا ندري متى نصل إلى طرفها الآخر، لأنه رضي الله عنه لم يترك باباً من أبواب نصرة رسول الله ﷺ إلا وحاز فيه قصب السبق وأعلى درجات الفضل، حتى قال النبي ﷺ: «ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر».

ومن لطائف النصرة النبوية أنها كانت السبب المباشر لإيمان أسد الإسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، الذي أسلم حمية لابن أخيه وانتصاراً له، لما بلغه أن أبا جهل تعرض له ونال منه، فأوقع به حمزة العقاب العاجل، ثم ترقى في مراقي الإيمان حتى أصبح سيد الشهداء، وليس هذا بمستغرب في شمائل بني هاشم الذين قبلوا الحصار مع رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب نصرةً له، سواء في ذلك المؤمن منهم والكافر، وهو ما سجله لهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. [الأنعام: ٢٦]

بل أعلن أبو طالب سيد القوم قولته المشهورة في الدفاع عن رسول الله ﷺ وعدم خذلانه:

ونُسلِمه حتى نقتلَ دونَه ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل

لذا لما طعن عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في مبارزة غزوة بدر، وحمل إلى رسول الله ﷺ وضع رأسه على فخذه، فقال له وهو يجود بأنفاسه: يا رسول الله ﷺ أنا أولى من أبي طالب بما قال وأنشد:

ونسلمه حتى نقتل دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

لأن أبا طالب رفعها شعاراً وعبيدة حققها في الواقع، وارتقى ليصبح أول شهيد في غزوة بدر.



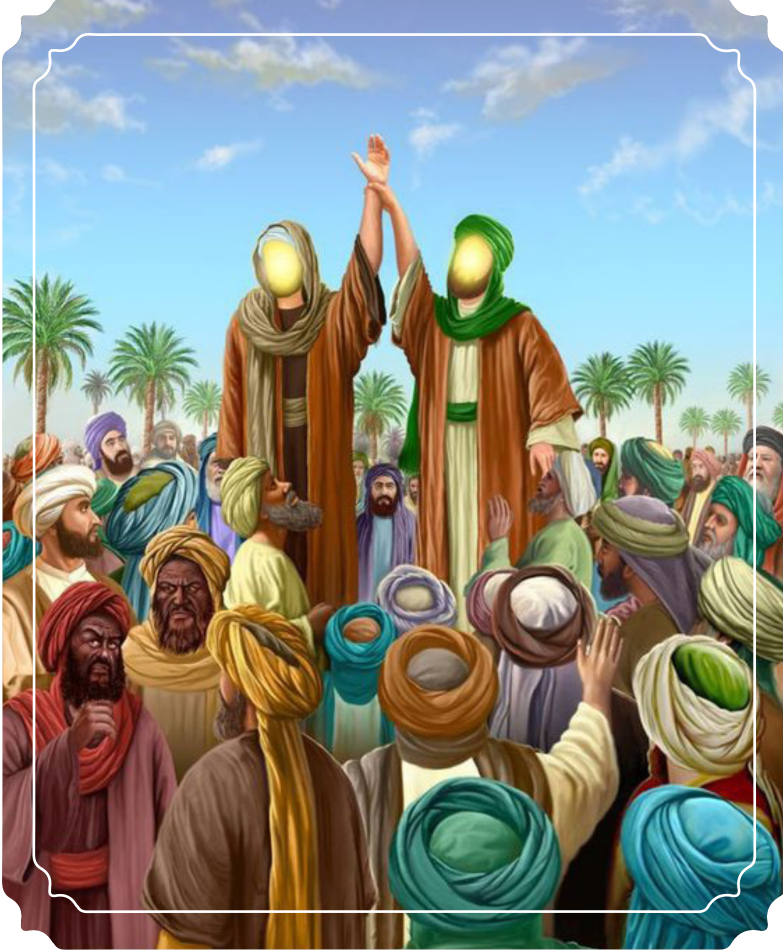
مسجد «البيعة»

ثم تحولت فكرة النصرة إلى علامة فارقة ومرحلة لها ما بعدها ويؤرَّخ بها في أيام الله، مع تعرُّف حجاج يثرب على دعوة رسول الله ﷺ وإيمانهم به. روى ابن إسحاق: وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ.

وفي العام التالي جاء موسمَ الحج ثلاث وسبعون رجلًا وامرأتان، فبايعهم النبي ﷺ فيما عُرف ببيعة العقبة الثانية، حيث بايعوا على الإسلام والنصرة الكاملة، وأن يتحول إلى ديارهم فيمنعوه مما يمنعون منه أولادهم وأهليهم، وانصهر أهل المدينة تحت شعار الأنصار، وذاب ما بين الأوس والخزرج من عداوة، وتفرغوا للمهمة الجديدة التي شرفهم الله به، ﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]

ثم قامت الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية على دعامتي المهاجرين والأنصار، وضرب الأنصار أروع الأمثلة في نصرة رسول الله ﷺ، ومن وفد عليهم من إخوانهم المهاجرين، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]



وضربُ الأمثلة وذكر النماذج على ذلك مما لا يتسع له مقال، وبلغ من الشهرة والتواتر حتى أصبح مضرب الأمثال، لكن استوقفني أمر من حسن الاستقبال ورعاية حق رسول الله ﷺ على أنصاره، مما لا أظنه يتكرر في دنيا الناس، حيث نزل رسول الله ﷺ -كما هو ثابت- في دار خالد بن زيد (أبي أيوب الأنصاري)، وبقي عنده مدة حتى بنى المسجد والحجرات وانتقل إليها، لكن أبا أيوب الأنصاري استمر في إعداد العشاء في كل ليلة كما كان يفعل مع رسول الله ﷺ وهو في بيته.

وتذكر الروايات أن نفس الأمر كان يفعله سعد بن عبادة سيد الأنصار، حيث كان يرسل في كل ليلة جفنة كبيرة إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، حتى أنه كان إذا تزوج ﷺ امرأة ذكر لها في مهرها وتأتيك جفنة سعد في ليلتك، وكفى بالنصرة شرفاً وللأنصار فخراً أن رسول الله ﷺ قال:

«لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس طريقاً وسلك الأنصار طريقاً لسلكت طريق الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

اللهم اجعلنا من أنصار رسول الله ﷺ وشرفنا بذلك.

خير أصحاب لخير نبي!

محمد إلهامي (رئيس التحرير)



عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

قال الفرزدق يوماً: "إنّا لنعرف سجدة الشعر كما تعرفون السجدة من القرآن"، يريد بذلك أن يقول إن الشعر يبلغ أحياناً في قوة المعنى وجودة التعبير ما يخضع له الشعراء لسطوته وإطرابه. وأكاد أقول: لكل قومٍ في فنِّهم شيءٌ مثل هذا، العبارة يطلقها الخبير في بابه فتسري مسرى النار في الهشيم والنور في الليل البهيم! فتشهد لصاحبها بالقوة والعبقرية، وتنحل بها إشكالات وتنفتح بها آفاق وتأملات!

شعرتُ بقول الفرزدق هذا حين قرأت كلمة الإمام القرافي التي يقول فيها: «لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه لكفوه في إثبات نبوته»[1].

١. القرافي، الفروق: أنوار البروق في أنواء الفروق، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)، ١٧٠/٤. ونسبها لبعض الأصوليين.

فتلك كلمةٌ تشهد لصاحبها بالقوة والعمق في قراءة التاريخ وفهمه، وفي معرفة أحوال الرجال وتقدير أثرهم، فإن أحوال الصحابة هي من معجزات النبي ﷺ، فما من شخص عظيم من صاحب دعوة أو مؤسس حضارة قد خلَّف بعده من أصحابه مثلما كان صحابة محمد ﷺ.



فإنه لم يُبلّغ دين الأنبياء أحدٌ مثلما بلغ أصحاب النبي ﷺ دينه لمن بعدهم، فقد حفظوا صفته وكلامه وإشاراته وسيرته، وكانوا يعلمونها أبناءهم كما يعلمونهم السورة من القرآن الكريم، ولم يرَ النبي منهم ما رآه موسى من أصحابه، ومات بينهم عزيزًا مُمَكَّنًا لا كما وُصِل إلى عيسى وأريد صلبُه من بين حوارييه! فهم خير أصحاب لنبي في الدين وفي الدنيا!

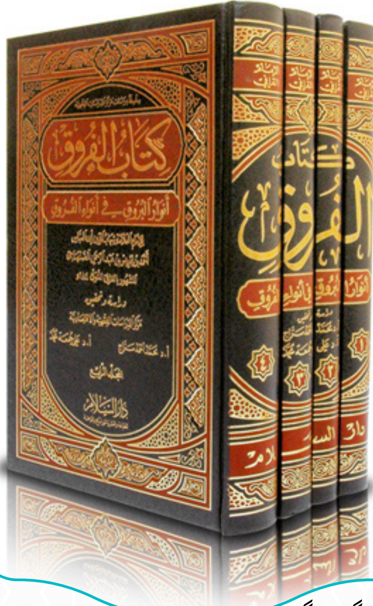
كذلك لم يحفظ أحد إرث زعيم وقائد كما فعل ذلك أصحاب محمد مع إرثه، فما من مؤسس مملكة وحضارة ودولة كان له من طول الأثر وخلود الذكر وقوة المملكة واتساعها وطول بقائها بعد موته كما كان للنبي محمد ﷺ، فقد رحل النبي ﷺ وقد خضعت له الجزيرة، وبعد مائة عام من رحيله كانت دولة الإسلام قد بلغت من الصين إلى فرنسا! بينما ما مرَّ القرنُ على رحيل جنكيز خان إلا وكانت مملكته قد انقسمت إلى أربعة! وما إن مات الإسكندر الأكبر حتى انقسمت مملكته من بعده.

إن صحابة النبي ﷺ ينافسون عظماء الدنيا في كل باب، بل المنافسة محسومة لهم في كل باب، فما في الدنيا خلفاء سادوا الناس وساسوهم بالعدل والرحمة والفضل كما فعل خلفاء النبي ﷺ، وليس في الدنيا زعيم سياسيٌّ كأبي بكر استلم الحكم والعاصمة مهددة بالاجتياح ثم مات عنها وهي قوة عظمى تقاتل القوتيْن العُظميَين في وقت واحد، وذلك كله في عامين. وليس في الدنيا حاكم مثل عمر تضاعفت

مساحة البلاد في عهده أربع مرات ودخلت في ظله خمسة أعراق على الأقل دون أن تشهد توسعاته مذابح ومظالم؛ بل كان عهده مثالاً للعدل.

والعسكريون في كل زمن وأرض يعرفون ويخضعون لخالد بن الوليد، بطل الفتوح في فارس والروم، وصاحب أسرع الفتوحات ضد أقوى الإمبراطوريات في زمنه، ومثله نجوم الفتح معه كالمثنى بن حارثة الشيباني، وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة بن الجراح.. ثم يزيدُ هؤلاء الصحابة عن سائر العسكريين أنهم لم يدرسوا الحرب في كليات ولا أكاديميات ولا خاضوا مناورات تدريبية! ومع ذلك فهم أصحاب «أعظم الأعمال إثارة للدهشة في التاريخ الحربي كله»[٢]. ثم يزيدون على سائر العسكريين كذلك بما كان فيهم من الزهد والورع، والنزول السهل السلس عن الإمارة والمنصب[٣]!

بل حتى العِلم والذكاء والعبقرية، فإن قومًا ربما ظنُّوا أن هؤلاء الصحابة كانوا من بساطة الحياة في حال من السذاجة والبداوة والجهالة، وأحتاج أن أتوقف هنا لحظة لأحكي حكاية مهمة:



هذا القرافي، الفقيه الأصولي المحقق المدقق، صاحب الدرة البديعة في علم الأصول، أي: كتابه (الفروق)، لا يعرف كثير من الناس أنه كان مهندساً مخترعاً، وأنه قبل أكثر من ثمانية قرون اخترع ما نسميه الآن إنساناً آلياً يخدم صاحبه، يقول في وصفه: «بلغني أن الملك الكامل (الأيوبي) وُضعَ له شمعدان، كلما مضى من الليل ساعة انفتح بابٌ منه، وخرج منه شخص يقف في خدمة السلطان، فإذا انقضت عشر ساعات طلع شخص على أعلى الشمعدان وقال: صبَّح الله السلطان بالسعادة، فيعلم أن الفجر قد طلع». ثم يضيف القرافي بأنه لما سمع بنبأ هذا الاختراع صنع مثله، يقول: **«وعَملتُ أنا هذا الشمعدان وزِدْتُ فيه أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشديد، ثم إلى الحُمرة الشديدة في كل ساعة لهما لون، فيعرف التنبيه في**

٢. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة مجموعة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠١م). ١٣/ ٧٣.
٣. أحسن ما اطلعت عليه في التأريخ الحربي للفتوحات الإسلامية كتب الأستاذ أحمد عادل كمال، وهي سلسلة «استراتيجية الفتوح الإسلامية».

كل ساعة، وتسقط حصاتان من طائرين، ويدخل شخص، ويخرج شخص غيره، ويغلق باب ويفتح باب، وإذا طلع الفجر طلع شخص على أعلى الشمعدان وإصبعه في أذنه يشير إلى الأذان، غير أني عجزت عن صنعة الكلام، وصنعت أيضاً صورة حيوان يمشي ويلتفت يميناً وشمالاً ويصفر ولا يتكلم»[٤].

أحكي هذه القصة لأنبه إلى أن هذا الرجل البارع في علوم الدين والدنيا، هو الذي يقول: «أصحاب رسول الله ﷺ كانوا بحارًا في العلوم، على اختلاف أنواعها من الشرعيات والعقليات والحسابيات والسياسات والعلوم الباطنة والظاهرة»[٥].

وهذا ابن تيمية، شيخ الإسلام الذي لا يختلف أحد على قوة عقله وعبقريته، يذكر أن أذكياء الأمة كلها عبر التاريخ كانوا يتوقفون عند قول الصحابي، فيستدل على ذكاء الصحابة بذكاء أتباعهم، يقول:

«كل أحد يعلم أن عقول الصحابة والتابعين وتابعيهم أكمل عقول الناس. واعتَبِر ذلك بأتباعهم، فإن كنت تشك في ذكاء مثلٍ مالكٍ والأوزاعي والليث بن سعد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وزُفَر بن الهذيل والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وأبي عبيد وإبراهيم الحربي وعبدالملك بن حبيب الأندلسي والبخاري ومسلم وأبي داود وعثمان بن سعد الدارمي، بل ومثل أبي العباس بن سريج وأبي جعفر الطحاوي وأبي القاسم الخرقي وإسماعيل بن إسحاق القاضي وغيرهم من أمثالهم، فإن شككت في ذلك فأنت مُفْرِطٌ في الجهل أو مكابر، فانظر خضوع هؤلاء للصحابة وتعظيمهم لعقلهم وعملهم، حتى أنه لا يجترئ الواحد منهم أن يخالف لواحد من الصحابة إلا أن يكون قد خالفه صاحب آخر. وقد قال الشافعي رحمة الله عليه في الرسالة: إنهم فوقنا في كل عقل وعلم، وفضل وسبب يُنال به علم، أو يُدرك به صواب، ورأيهم لنا خيرٌ من رأينا لأنفسنا»[٦].

فهذا شأنهم في العلم والذكاء، وقوة العقل والفهم والعبقرية..

وأي شيء أدلُّ على قوة الشخصية وشدة العزم وصلابة النفس من قومٍ انخلعوا من أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم وولائهم لأقوامهم، ليتبعوا رجلاً مضطهداً جاء بدعوة جديدة متعرضين بهذا للعذاب

٤. القرافي، نفائس الأصول شرح المحصول، (القاهرة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٥م)، ١/٤٤١، ٤٤٢.
٥. القرافي، الفروق، ٤/١٧٠.
٦. ابن تيمية، درء التعارض بين العقل والنقل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢ (الرياض: جامعة الإمام، ١٩٩١م)، ٥/٧١، ٧٢.

والنبذ في بيئة لا انتماء فيها ولا رابطة أقوى من رابطة الدم؟! بل إن بعضهم -كمصعب بن عمير- انخلع مما هو فيه من طيب العيش ورغد الحياة ليعيش حياته بعدها فقيراً معدماً حتى يموت. وبعضهم ينزل عن زعامة الناس ليُسَلِّمها طائعاً مختاراً لرجل غريب طارئ في بيئة أشدُّ ما عليها أن يحكمها من ليس منها كما فعل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وزعماء الأنصار؟! هذا فضلاً عن الذين خرجوا من أموالهم كلها أو شطرها أو قسمٍ عظيم منها لينفقوها في سبيل الله، حتى كان بعضهم يتصدق بالقبضة من التمر لا يجد غيرها! وبعضهم كانت عينه تفيض من الدمع لأنه لم يجد سبيلاً ليجاهد بنفسه في سبيل الله!

إن الذي تميَّز به الصحابة عن سائر الناس هو ما انطوت عليه نفوسهم من الدين والإيمان والتقوى، والزهد في الدنيا وطلب الآخرة، وبهذا كان عمل الواحد منهم لا يُلحق، كما وصف ذلك النبي ﷺ بقوله: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٧]، وكما فسره ابن مسعود رضي الله عنه حين قال للتابعين: «أنتم أكثر صلاة وأكثر صياماً وأكثر جهاداً من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيراً منكم. قالوا: وبم ذاك؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة».



إن فضل الصحابة ومكانتهم يجتمع عليه العقل والنقل، فلو كان الإنسان كافراً لا يؤمن بالله ولا بالرسول لَرأى في تاريخ هؤلاء من وجوه العظمة ما يخضع له، سواءٌ في ذلك تغيرهم هم في أنفسهم وانتقالهم الكبير بل انسلاخهم التام من الجاهلية إلى الإسلام، أو تغييرهم للعالم من حولهم، إذ العالم بعدهم غير ما كان قبلهم تماماً، فكأنهم قلبوا الدنيا وأعادوا نظامها من جديد!

فأما المسلم، فيكفيه ما جاء في فضل هؤلاء في كتاب الله وسنة رسوله، بل يكفيه نصٌّ واحدٌ فحسب من ذلك كله، فكيف بالمسلم يمرُّ على قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] ولا تأخذه رعدة؟! إن الله تعالى ذكَّر نبيَّه بأن هؤلاء الصحابة هم من نِعَم الله عليه،

٧. البخاري (٣٤٧٠).

وهم من تأييد الله له، وأن الله تعالى غرس في قلوبهم الحب والألفة التي لا يُستطاع بلوغها ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]

وما من مسلم يُعَظِّم رسول الله، ثم يرى منه هذا الحب لصحابته، إلا وهو مدفوعٌ لمحبتهم، محبة تغلب عليه وتأخذ منه بأقطار نفسه! إذ كيف يجتمع في قلبٍ واحدٍ حب النبي وبُغض أصحابه! وذلك كان جواب ابن عمر لرجل من الخوارج جاء يسأله عن عثمان، فمدحه ابن عمر، ثم رأى الكراهة في وجه الخارجي فقال له: لعل هذا يسوؤك؟ قال الخارجي: نعم. قال ابن عمر: فأرغم الله بأنفك! ثم سأله الرجل عن عليّ، فمدحه ابن عمر وأشار إلى بيت علي يقول: هو ذاك بيتُه أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم رأى الكراهة أيضاً، فقال له: لعل هذا يسوؤك؟ قال الخارجي: نعم. قال ابن عمر: فأرغم الله بأنفك!

وهذه الإشارة الذكية من ابن عمر من أن عليًّا كان بيته أوسط بيوت النبي، أي ذلك دليل محبة النبي له، هي مدخلٌ يختبر المرء به إيمانه، فإن النبي ﷺ صاهر أبا بكر وعمر، وزوّج ابنتيه من عثمان وزوّج أحب بناته إليه من عليّ! ولا يكاد يُرى سائراً إلا وفي رفقته أبو بكر وعمر، وشهد لعثمان بالجنة والشهادة، وشهد لعلي بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

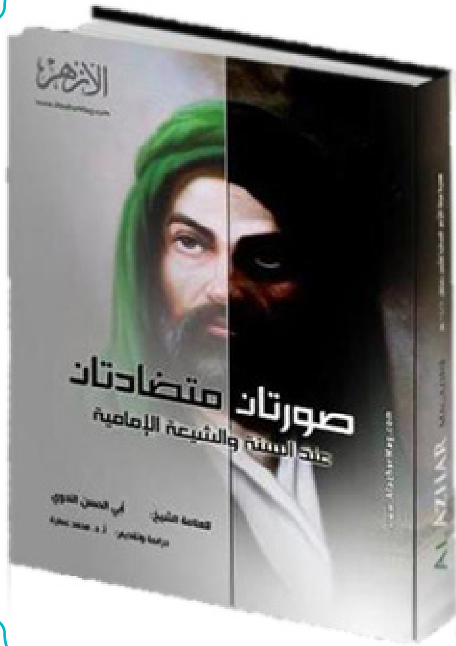


ومن هنا فإن الذي يبغض الصحابة، لا سيما أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، إنما يشير إلى نفسه بفراغه من الإيمان والدين، فإن كان صاحب الرسالة يحبهم، وإن كان هؤلاء هم أنصار الدين منذ بزغ وإلى أن صار قوة عظمى عالمية، فمن الذين تُصرف لهم المحبة في الدين إن لم يكن هؤلاء؟!

وأشدُّ من ذلك أن طعنه في هؤلاء لا بد سيصل إلى الطعن في النبي ﷺ نفسه صاحب الرسالة، فإن كان هذا النبي قد صرف محبته لغير مستحق، فأي رجل هو؟ هل خان الرسالة -حاشاه-؟ أم هو غير بصير بالرجال -حاشاه-؟!

وإذا كان ألصق الناس بالنبي ﷺ قد خانوا وبدّلوا كما يزعم أولئك الذين يبغضونهم، فمن هم أهل الصلاح إذن؟ فإن كان صاحب الرسالة قد أخفق في تربية أقرب أصحابه وتعليمهم وتزكية نفوسهم، فكيف يمكن أن يكون هذا الرجل عظيماً ومعلماً ومربياً؟![٨]

هذه البدهيات العقلية هي التي جعلت علماءنا حساسين للغاية لمن يبغضون الصحابة أو يسبونهم، وجعلت كثيرين منهم ينظرون إلى هذه الظاهرة بأنها كفرٌ مستتر، فهذا المبغض عجز عن أن يطعن في صاحب الرسالة نفسه فالتمس صحابته ليتوصل من خلالهم إلى الطعن فيه، كما قال الإمام مالك رحمه الله. ومثله مقالة الشعبي: ائتني برافضي صغير أُخرج لك منه زنديقاً كبيراً.. فإن الطعن في الصحابة لا يلبث بالمجهود القليل أن يتحول إلى الطعن في النبي ﷺ نفسه.



وللشيخ العلامة الهندي أبي الحسن الندوي كتاب عنوانه «صورتان متضادتان»، يُركّز فيه على هذا المعنى، فصورة الصحابة عند أهل السنة تشير إلى نبي عظيم ومصلح كبير ومربٍّ قدير، بينما صورتهم عند الشيعة تشير إلى نبي لا يستحق وصف العظمة بحال لأن أصحابه قد ارتدوا من بعده وخانوا رسالته!

إن موقف المرء من الصحابة هو من علامات دينه ومن علامات عقله كذلك! فالذي يقع في الصحابة يشهد على نفسه بخلّوه من الدين ومن العقل معاً!

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن قال فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

---

٨. ولا يُقال هنا: إن نوحاً ولوطاً كفرت زوجتاهما، أو أن النبي يأتي وليس معه أحد.. فالمسألة هاهنا مختلفة، فإن النبي مدح هؤلاء الصحابة جملة، ومدح أعيانهم.. فنطق بذلك عن علم لا عن هوى! وما حصل مثل هذا في شأن امرأتي نوح ولوط! فإنهما لم يؤمنا أصلاً.

عمرو بن العاص

أرطبون الحرب والسلام



د. أحمد موفق زيدان

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

ذات يوم حين فوجئ داهية العرب عمرو بن العاص رضي الله عنه بسؤال من أحد الحاضرين عن تأخر إسلامه، وهو المعدود ضمن الدهاة الأربع الذين تناقلت أخبارهم وسيرهم العرب في حينه. ليفوته التبكير بنيل الشرف العظيم، وهو الإيمان برسول الله ﷺ، ليلتحق به بعد ثماني سنوات من دعوته، أجاب سائلَه:

«إنَّا كنَّا مع قومٍ لهم علينا تقدُّمٌ وسنٌّ، توازي حلومُهم الجبال، ما سلكوا فجًّا فتبعناهم، إلا وجدناه سهلاً، فلما أنكروا على النبيِّ ﷺ أنكرنا معهم، ولم نفكِّر في أمرنا، وقلَّدناهم، فلمَّا ذهبوا وصار الأمر إلينا، نظرنا في أمر النبيِّ ﷺ فإذا الأمر بيِّنٌ، فوقع في قلبي الإسلام».



- وهو قول يعكس في كنهه وحقيقته أمرين:

الأول: حالة الاتباع والاقتداء حتى في حالة دهاء عمرو، لقادة ذلك الزمان.

أما الأمر الآخر: فيعكس مدى المقبولية التي حظي بها قادة قريش وأربابها في ذلك الزمان وسط العرب، ووسط شخصيات داهية كعمرو وغيره.

برز عمرو بن العاص في المواجهة مع الصحابة رضوان الله عليهم، خلال رحلته إلى النجاشي لثنيه عن قراره بإيواء المهاجرين من الصحابة، وحين فشل في الجلسة الأولى في ثنيه عن رأيه في تسليم الصحابة رضوان الله عليهم لوفد عمرو بن العاص، سعى الأخير بعد خروجه من مجلس النجاشي إلى استجماع كل مكره ودهائه وخديعته، فكان أن التقط الخيط الذي خال أن بمقدوره تأليب النجاشي والبطارقة على الصحابة، وهو خيط قول الصحابة في عيسى بن مريم عليه السلام، وفي الجلسة الثانية التي دعا إليها النجاشي بتحريض من عمرو سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقرأ عليه شطراً من سورة مريم، وأن ما يعتقدون به أنه عبد الله ورسوله، فقال النجاشي قولته:

«إن هذا وما قاله عيسى يخرج من مشكاة واحدة».

وهنا بطل سحر عمرو بن العاص، ونُسف معه كل معتقدات البطارقة الذين هاجوا وماجوا بعد قول النجاشي هذا.


مسجد سيدنا عمرو بن العاص

عمرو بن العاص يسلم على يدي النجاشي

اللافت ما نقله المؤرخون في ذلك اللقاء هو نصيحة النجاشي لعمرو بن العاص، فكانت نصيحته تلك هي أول دعوة له إلى الإسلام، ويبدو أن الكلمة وقعت في قلبه بقبول دعوة النبي محمد ﷺ، وهنا ندع صاحب السيرة المشهور محمد بن إسحاق يروي لنا ما دار بين النجاشي وعمرو بن العاص:

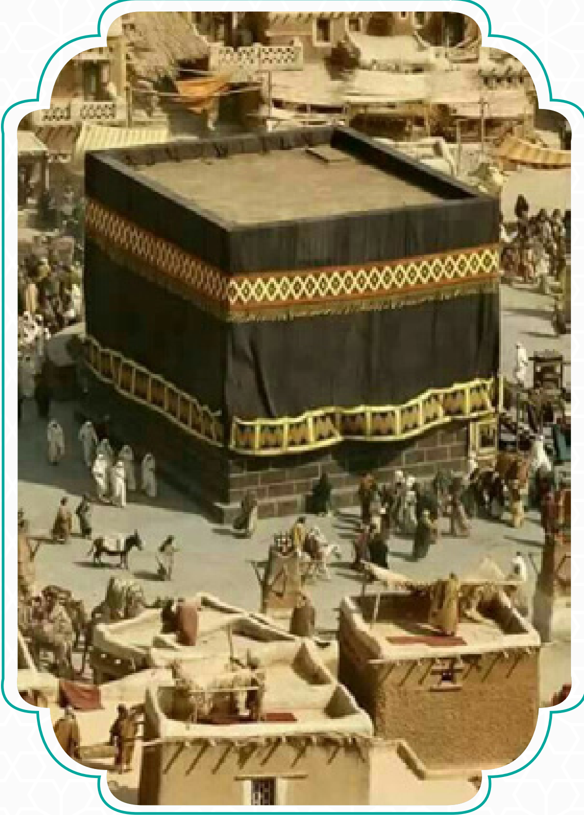
قال النجاشي لعمرو: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله؟

قال: قلت: أيها الملك أكذاك هو؟

قال: ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده.

قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟

قال: نعم.



فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت عن أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامدا إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة. فقلت: أين أبا سليمان؟ فقال: والله لقد استقام الميسم، وإن الرجل لنبي، أذهب والله أسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم.

قال: فقدمنا المدينة على النبي ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر.

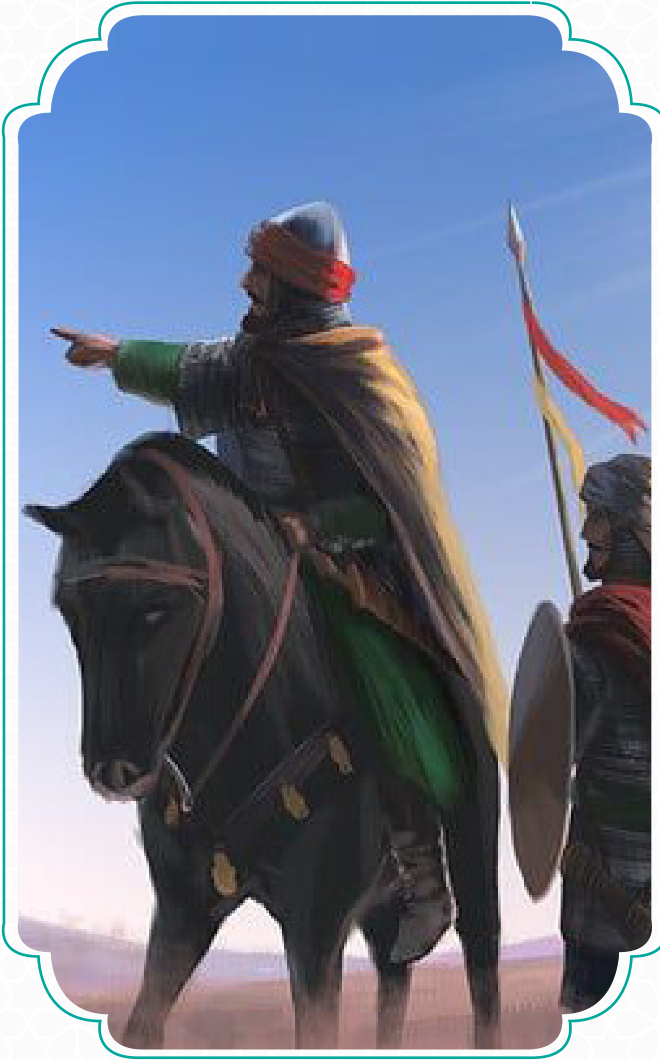
قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو بايع فإن الإسلام يجُب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها».

عمرو بن العاص وغزوة ذات السلاسل

أسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه، فكانت أول تجربة قيادية له في الإسلام تأمير رسول الله ﷺ له على مجموعة من الصحابة في غزوة ذات السلاسل، بينهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولمـّا يمضِ على إسلامه سوى خمسة أشهر فقط، وقد بلغ من العمر ٥٥ عاماً، لقد عرف رسول الله ﷺ خبرته بالحرب ودروبها.

وقد برز دهاؤه وحنكته سريعاً في هذه الغزوة، ففي رواية ابن حبان عن قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارًا، فمنعهم، فكلموا أبا بكر، فكلَّمه في ذلك، فقال: لا يوقد أحدٌ منهم نارًا إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزموهم، فأرادوا أن يتبعوهم، فمنعهم، فلما انصرف ذلك الجيش ذكروا للنبي ﷺ وشكوه إليه، فقال: «يا رسول الله، إني كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارًا فيرى عدوُّهم قِلَّتهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد، فيعطفوا عليهم».

فحمد رسول الله ﷺ أمره.



عمرو بن العاص ومصر.. متلازمة الحب

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه متعلقاً بمصر منذ أيام الجاهلية، فقد زارها كثيراً، وعرف الأسكندرية ودروبها وطرقها وعرف معها شعاب مصر بشكل عام، ولذا كان يترقب اليوم الذي تحقق فيه نبوءة الشماس المصري الذي التقاه ذات يوم في بيت المقدس، بينما كان يرعى إبله، وإبل أصحاب له في الجاهلية، وإذ بالشماس المصري يقارب الهلاك من العطش فأنقذه عمرو بن العاص حين سقاه الماء، ثم نام الشماس وكان عمرو يرعى إبله، وبينما الشماس نائم، أبصر عمرو بن العاص ثعباناً عظيماً قد اقترب منه فهوى على رأسه بحجر فقتله، وبعد أن أفاق الشماس وأبصر ما حوله، قال لعمرو: لقد أنقذتني من الموت مرتين، مرة من العطش والآن من الثعبان، فأصرّ عليه أن يرافقه إلى مصر، وهناك كان لديهم تقليد بأن يلقوا بكرة من ذهب في أحراج من هو حاضر، ومن تسقط في حجره، فهي إشارة على أنه سيحكم مصر مستقبلاً، وبالفعل وقعت الكرة في حجر عمرو بن العاص، مما زاد تعلقه بها.

وتمضي الأيام سريعاً فيُعيّن من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائداً لجيش يفتح مصر، وبينما هو يغذّ السير مع جيشه إلى مصر، تلقى رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب، لكنه لم يفضّ المكتوب خشية أن يطالبه بالعودة، وأن يكون عمر قد غيّر رأيه، لاسيما وأن عمر رضي الله عنه كان يؤمن بالزحف البطيء، خشية من التوسع الجغرافي الكبير باتجاه مصر وصحراء ليبيا، فيشقّ ذلك على المسلمين، وبالفعل احتفظ عمرو بن العاص بالمكتوب دون أن يفضه حتى دخل أرض مصر، ففضه، وإذا مضمونه، إذا كنت قد دخلت مصر فامضِ على بركة الله، وإن لم تكن فعد من حيث أتيت، فمضى عمرو مع جيشه.

حصن بابليون والحاسة السادسة لعمرو بن العاص

تجلّت عبقرية عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر، وهو الذي قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حقه: «والله لأرمينّ أرطبون الروم بأرطبون العرب».


حصن بابليون

ووقعت حادثة مهمة خلال فتح حصن بابليون الحصين في مصر، إذ تجلّت عبقرية عمرو ودهاؤه، فبعد أن التقى وقادة الحصن للتفاوض، كان قادة الروم قد دبروا مكيدة بحقه، وذلك في أن يلقي جنود الروم من فوق الحصن صخرة عظيمة على عمرو بن العاص وهو خارج من الاجتماع، ولكن بذكائه شعر بحركة غريبة فوق السور، فعاد إلى قادة الروم، وقال لهم إنني أرى ما شرحتموه لي، لا بد أن تشرحوه لبعض قادتي العسكريين حتى يقتنعوا بوجهة نظركم كحالي، فأرجأ قادة الروم عملية الاغتيال منتظرين مجيء الجميع للتخلص منهم، وهو ما أسهم في إنقاذ نفسه من مهلكة محتمة.

مثل هذه القصص المروية عن داهية العرب وأرطبونها وغيرها الكثير، هي من خلّدت مقولة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لمّا كان يرى ما يسوءه، ولا يعجبه من تصرفات وسلوكيات أشخاص آخرين، فيقول قولته التي غدت مشهورة: «سبحان الله! خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد!»

وحين لاحظ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه استقلال -من القلّة- بعض الناس فتوحات عمرو بن العاص، مقارنة بفتوحات خالد بن الوليد وغيره، ردّ عليهم بقوله: «أتستقلّون فتوحات عمرو، والله إن أحبّ الفتوحات إليّ ما كانت قليلة الدم»».

وتلك ميزة فتوحات عمرو بن العاص لمصر، وأجزاء من ليبيا.

وحين حضرت الوفاة عمرو بن العاص كان أكثر ما تجلت حنكته، وصبره، فقد أخرج ابن سعد أن عمرًا قال: «عجبًا لمن نزل به الموت وعقلُه معه، كيف لا يصفه؟»

فلما نزل به الموت، ذكَّره ابنه بقوله وقال: صِفْهُ. قال: «يا بني، الموت أجلُّ من أن يُوصَف، ولكني سأصِفُ لك، أجدُني كأنَّ جبل رُضْوَى على عنقي، وكأن في جوفي الشَّوْك، وأجدُني كأنَّ نَفَسي يخرج من إبرة».

توفي رحمه الله عن عمر يناهز الثمانية والثمانين في المقطم، وقبره اليوم في المقطم بمصر، وبجانبه قبر الإمام الشافعي رحمه الله، تقبله الله في فردوسه، وأخلف المسلمين خيراً.



قبر سيدنا عمرو بن العاص

أولئك هم الصادقون





الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

إن خير من مشى على الأرض بعد الأنبياء والرسل هم أصحاب النبي ﷺ، اختارهم الله ليكونوا وزراء نبيه وحاشيته، وقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[١].

---

١. رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٧)، ورواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٠٥) من طريق عمر بن نبهان عن الحسن عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه وسنده ضعيف.

•• قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقول عبدالله بن مسعود: كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً.. كلام جامع بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب وبين فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم، وبين فيه تيسر ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف[٢].

مدحهم الله تعالى في كتابه أنصاراً ومهاجرين، فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨-٩].

تعريف الصحابي

يجمع على صحابة، وهو من لقي الرسول ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، وهم طبقات يتفاوتون في السبق والفضل. قال السيوطي في ألفية الأثر وقد ذكر خمسة أقوال في حد الصحابي:

ثم الصحابي مسلما لاقي الرسول •• وإن بلا رواية عنه وطول

كذاك الاتباع مع الصحابة •• وقيل مع طول ومع رواية

وقيل مع طول وقيل الغزو أو •• عام وقيل مدرك العصر ولو

وشرطه الموت على الدين ولو •• تخلل الردة، والجن رأوا

دخولهم دون ملائك وما •• نشرط بلوغا في الأصح فيهما

فجملة الأقوال خمسة كما في النظم وبقي سادس ذكره في التدريب، وهو أنه من رآه بالغاً. حكاه الواقدي، وهو شاذ، والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول.

---

٢. منهاج السنة (٢/٧٩).

قال الحافظ: لا خفاء في رجحان رتبة من لازمه ﷺ، وقاتل معه، أو قتل تحت رايته، على من لم يلازمه أو لم يحضر معه مشهداً، وعلى من كلمه يسيراً، أو ماشاه قليلاً، أو رآه على بعد، أو في حال الطفولة، وإن كان شرف الصحبة حاصلاً للجميع، ومن ليس له منهم سماع منه فحديثه مرسل من حيث الرواية، وهم مع ذلك معدودون في الصحابة لما نالوه من شرف الرؤية أهـ.



وأفضل أصحابه الذين رأوه، وآمنوا به، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[٤].

وعن مالك عند مسلم عن عائشة «قال رجل: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»[٥]، ووقع في رواية الطبراني وسموية ما يفسر به هذا السؤال، وهو ما أخرجاه من طريق بلال بن سعد بن تميم عن أبيه قال قلت: يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال: «أنا وقرني» فذكر مثله[٦].

وللطيالسي من حديث عمر رفعه «خير أمتي القرن الذي أنا منهم، ثم الثاني، ثم الثالث». ووقع في حديث جعدة بن هبيرة عند ابن أبي شيبة والطبراني إثبات القرن الرابع ولفظه «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الآخرون أردأ». ورجاله ثقات، إلا أن جعدة مختلف في صحبته والله أعلم[٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان

---

٣. التوبة: ١٠٠.
٤. أخرجه أحمد والبخاري ومسلم.
٥. أخرجه أحمد ١٥٦/٦، ومسلم ١٨٦/٧ (٦٦٤١).
٦. مجمع الزوائد (٥٢٢/٧).
٧. انظر الفتح (٣/٧) فضائل الصحابة.

فيغزو فئام من الناس، فيقال هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[٨].

وفي رواية من حديث مثله حديث واثلة يرفعه إلى النبي ﷺ «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحبني»[٩].

والصحابة هم خير هذه الأمة كما أخبر الله عنهم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١٠].

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا ألفاً وأربعمائة»[١١].



وهذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم تزكية لا يخبر ولا يقدر عليها إلا الله، وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم ومن هنا رضي عنهم، «ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر، لأن العبرة بالوفاة على الإسلام، فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام، وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه»[١٢].

ومما يؤكد حديث أم مبشر من قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها»[١٣].

---

٨. أحمد ٣/٧ (١١٠٥٦) والبخاري ٤/٤٤ (٢٨٩٧) ومسلم ٧/١٨٣ (٦٥٥٨).
٩. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٤١٧). وإسناده حسن كما قال الحافظ: الفتح (٥/٧).
١٠. الفتح: ١٨.
١١. فتح الباري (٧/ ١٣٤- ٢٢٤)، صحيح مسلم، رقم ٨٥٦.
١٢. الصواعق المحرقة، ص٣١٦.
١٣. مسلم (٦٥٦٠)، وشرح النووي (١٦/ ٥٨).

قال ابن حزم: «فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي الله عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، أو الشك فيهم ألبتة»[١٤].

وعن أبي سعيد قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[١٥].

حكم من سب الصحابة أو تنقصهم

السب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم من السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح و نحوهما[١٦].

إن سب أصحاب النبي ﷺ والطعن فيهم دليل على بغض الشخص، وعدم حبه لهم، فإن النبي ﷺ أخبرنا أن من أحبهم فلحبه لرسول الله ﷺ ومن أبغضهم فببغضه للرسول ﷺ، ولا يسبهم أحد إلا إذا كان وراءه هدف للطعن في الرسالة التي حملوها وبلغوها للناس، فهم واسطة العقد بيننا وبين نبينا ﷺ، ومن طعن فيهم فهو أولى بالطعن والذم، يقول أبو زرعة الرازي رحمه الله:

- «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[١٧].

وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة»[١٨].

---

١٤. الفصل في الملل والنحل (١٤٨/٤).
١٥. مسلم (٦٦٥١) وشرح النووي على مسلم. والنصيف: النصف
١٦. انظر المطلع (١٤٩).
١٧. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص٤٩).
١٨. فتح الباري (٣٦٥/٤).



قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[١٩].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[٢٠].

وقد استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة، لأن الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه الشافعي وغيره"[٢١].

وثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[٢٢].

وإليك تفصيل وبيان أحكام كل قسم:

من وسم الصحابة بالكفر والردة، أو الفسق، جميعهم أو معظمهم فلا نشك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها:

أ- أن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول.

---

١٩. الحشر: ١٠.
٢٠. الفتح: ٢٩.
٢١. الصواعق المحرقة (٣١٧)، و تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٤).
٢٢. صحيح البخاري حديث برقم (٣٦٧٣)، ومسلم كتاب الفضائل حديث رقم (٢٥٤٠، ٢٥٤١).

ب- لأن في ذلك إيذاءً له ﷺ لأنهم أصحابه وخاصته، فسب أصحاب المرء وخاصته والطعن فيهم يؤذيه ولا شك، وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر.

ج- أن في هذا تكذيباً لما نص عليه القرآن من الرضى عنهم والثناء عليهم «فالعلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي»، ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر.

قال الهيتمي رحمه الله: «... ثم الكلام (أي الخلاف) إنما هو في سب بعضهم، أما سب جميعهم، فلا شك في أنه كفر».

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[٢٣]. وفي رواية: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق»[٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»[٢٥]. فمن سبهم فقد زاد على بغضهم فيجب أن يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر[٢٦].

قال الحافظ في شرح حديث حب الأنصار: «... فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق؛ تنويهاً بعظيم فضلهم، وتنبيهاً على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركاً لهم في الفضل المذكور كل بقسطه، وقد ثبت في صحيح مسلم عن علي أن النبي ﷺ قال له: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»[٢٧]، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة؛ لتحقق مشترك الإكرام؛ لما لهم من حسن الغناء في الدين، قال صاحب المفهم: وأما الحروب الواقعة بينهم فإن وقع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة (يعني النصرة)، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة، ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذاك حال المجتهدين في الأحكام، للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، والله أعلم»[٢٨].

---

٢٣. أخرجه أحمد ١٣٠/٣(١٢٣٤١) والبخاري ١١/١(١٧) ومسلم ٦٠/١ (١٤٧).
٢٤. أخرجه أحمد ٢٨٣/٤ (١٨٦٩٤) وفي ٢٩٢/٤ (١٨٧٧٧) والبخاري ٣٩/٥(٣٧٨٣) ومسلم ٦٠/١ (١٤٩).
٢٥. مسلم (٢٤٧).
٢٦. الصواعق المحرقة (٣٧٩) لابن حجر الهيتمي.
٢٧. أحمد ٨٤/١ (٦٤٢) ومسلم ٦٠/١ (١٥٢) والترمذي (٣٧٣٦).
٢٨. الفتح (٦٣/١).



السابقون الأولون



د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

بعد نزول آيات المدثر، قام رسول الله ﷺ يدعو إلى الله، وإلى الإسلام سراً، وكان طبيعياً أن يبدأ بأهل بيته، وأصدقائه، وأقرب النَّاس إليه، وكان أول من أسلم من الصحابة الكرام: خديجة، وأبو بكر، وعلي ابن أبي طالب، وزيد بن حارثة، ثم تبعهم عدة مجموعات من الصحابة الكرام، كانت بالعشرات، ولكن كانوا هم نواة الإسلام، وحملة لوائه.

وكانت هذه الجماعة تربَّت على يدي رسول الله ﷺ وأخذت النصيب الأوفر من النور والعلم والهدى، وقد برزت فيها -وفي من أسلم بعدهم من كبار الصحابة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار- خصائص مهمَّة، جعلتها تتقدَّم بخطواتٍ رصينةٍ نحو صياغة الشَّخصية المسلمة، الَّتي تقيم الدَّولة المؤمنة، وتصنع الحضارة الرَّائعة، ومن أبرز هذه الخصائص:

١. الاستجابة الكاملة للوحي، وعدم التَّقديم بين يديه:

إنَّ العلم، والفقه الصَّحيح الكامل في العقائد، والشَّرائع، والآداب وغيرها، لا يكون إلا عن طريق الوحي المنزَّل -قرآناً وسنَّةً- وذلك بالعلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومعرفة ما يجب له، وما ينزَّه عنه -سبحانه وتعالى- والعلم بالملائكة، والكتاب، والنَّبيِّين، والعلم بالآخرة، والجنَّة، والنَّار، والعلم بالشَّرائع المجملة والمفصَّلة، والأحكام المتعلِّقة بالمكلَّفين، والعلم بالمسلك الصَّحيح الَّذي ينبغي سلوكه في سائر الأحوال: في الغضب والرِّضا، في القصد والغنى، في الأمن والخوف، في الخير والشَّرِّ، في الهدنة والفتنة، والتزام الدَّليل الشَّرعيِّ هو منهج الَّذين أنعم الله عليهم بالإيمان الصَّحيح. قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١][1]

كان الصَّحابة رضي الله عنهم أعظم من غيرهم انتفاعاً بالدَّليل والوحي، وتسليماً له؛ لأسبابٍ عديدةٍ؛ منها:

أ. نزاهة قلوبهم، وخلوُّها من كلِّ ميلٍ أو هوًى غير ما جاءت به النُّصوص، واستعدادها التَّامُّ لقبول ما جاء عن الله، ورسوله ﷺ، والإذعان، والانقياد له انقياداً مطلقاً دون حرجٍ، ولا تردُّدٍ، ولا إحجامٍ.

---

١. صفة الغرباء، سلمان العودة، ص ٨٣.



ب. معاصرتهم لوقت التَّشريع، ونزول الوحي، ومصاحبتهم للرَّسول ﷺ، ولذلك كانوا أعلم النَّاس بملابسات الأحوال الَّتي نزلت النُّصوص فيها، والعلم بملابسات الواقعة أو النَّصِّ من أعظم أسباب فقهه، وفهمه، وإدراك مغزاه.

ج. وكانت النُّصوص -قرآناً وسنَّةً- تأتي في كثيرٍ من الأحيان لأسبابٍ تتعلَّق بهم -بصورةٍ فرديَّةٍ، أو جماعيَّة- فتخاطبهم خطاباً مباشراً، وتؤثِّر فيهم أعظم التأثير؛ لأنَّها تعالج أحداثاً واقعيَّةً، وتعقب في حينها، حيث تكون النُّفوس مشحونةً بأسباب التأثُّر، متهيِّئةً لتلقِّي الأمر، والاستجابة له.

د. قد أعفاهم قرب عهدهم بالنَّبيِّ ﷺ من الجهد الَّذي احتاج إليه من بعدهم في تمييز النُّصوص، وتصحيحها، فلم يحتاجوا - في غالب أحوالهم - إلى سلسلة الإسناد، ولا معرفة الرِّجال، والعلل، وغيرها، ولم يختلط عليهم الصَّحيح بغيره، ومن ثمَّ لم يقع عندهم التردُّد في ثبوت النَّص الَّذي وقع عند كثيرٍ ممَّن جاء بعدهم - خاصَّةً من أصحاب النُّفوس المريضة، أو من الجهلة الَّذين لم يدرسوا السُّنَّة، ويفقهوها روايةً، ودرايةً - فكانوا إذا سمعوا أحداً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارُهم، كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

٢ - التَّأثُّر الوجدانيُّ العميق بالوحي والإيمان:

كان الصَّحابة يتعاملون مع العلم الصَّحيح، ليس كحقائق علميَّةٍ مجرَّدةٍ يتعامل معها العقل فحسب، دون أن يكون لها علاقةٌ بالقلب، والجوارح؛ فقد أورثهم العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله - محبَّته، والتألُّه إليه، والشَّوق إلى لقائه، والتَّمتُّع بالنَّظر إلى وجهه الكريم في جنَّة عدنٍ، وأورثهم تعظيمه، والخوف منه، والحذر من بأسه، وعقابه، وبطشه، ونقمته، وأورثهم رجاء ما عنده، والطَّمع في جنَّته، ورضوانه، وحسن الظَّنِّ به، فاكتملت لديهم - بذلك - آثار العلم بالله، والإيمان به، وهي الحبُّ، والخوف، والرَّجاء.

٢. صفة الغرباء، ص ٩٢ ـ ٩٣.

وأورثهم العلم بالجنَّة، والنَّار الرَّغبةَ في النَّعيم الأبديِّ السَّرمديِّ، والخوف من مقاساة العذاب الرَّهيب، فقلوبهم تتراوح بين نعيمٍ ترجوه، وتخشى فوته، وعذابٍ تحذره، وتخشى وقوعه؛ فتعلَّقت قلوبهم بالآخرة - فكرةً، وخوفاً، ورجاءً - حتَّى كأنَّهم يرون البعث، والقيامة، والميزان، والصِّراط، والجنَّة، والنَّار رأيَ العين. وأورثهم علمهم بالقدر، وأنَّه أمرٌ قد فُرِغ منه - التَّوكُّل على الله، وعدم التَّوكلِ على الأسباب، وعدم الفرح بما أوتوا، ولا الأسَى على ما مُنعوا، والإجمال في الطَّلب؛ إذ لن يفوت المرء ما قدِّر له، ولن يأتيه ما لم يقدَّر، كما غرس في نفوسهم الشَّجاعة، والإقدام. وأورثهم علمُهم بالموت، وإيمانُهم به - العزوفَ عن الدُّنيا، والإقبال على الآخرة، والدَّوام على العمل الصَّالح؛ إذ لا يدري المرء متى يموت، والموت منه قريب. وهذه المعاني الوجدانيَّة هي المقصود الأعظم من تحصيل العلم، وإذا فقدت فلا ينفع مع فقدها علمٌ، بل هو ضررٌ في العاجل، والآجل.

ولقد كان للصَّحابة رضي الله عنهم من هذه المعاني الوجدانيَّة أعظم نصيبٍ؛ لأنَّ إيمانهم كان أعمق، وأكمل من إيمان غيرهم، ولقد تلقَّوه غضَّاً طريَّاً من النَّبيِّ ﷺ لم يَعْلَقْ بغبرة الأهواء، والغفلان.

وكان الصَّحابة فرساناً بالنَّهار، ورهباناً باللَّيل، لا يمنعهم علمُهم، وإيمانُهم الحقُّ وخشوعُهم للهِ من القيام بشؤونهم الدُّنيويَّة؛ من بيعٍ، وشراءٍ، وحرثٍ، ونكاحٍ، وقيامٍ على الأهل، والأولاد، وغيرهم فيما يحتاجون إليه، وكانوا بعيدين كلَّ البعد عن الإعجاب بالنَّفس، الَّذي أصيب به بعض المتعبِّدين ممَّن جاء بعدهم، فترتَّب عليه ازدراؤهم، واحتقارهم لأعمال الآخرين، واستهانةٌ بمجهوداتهم في سبيل الدِّين، وحطٌّ من قدرهم، فأصبحوا في الحقيقة متعبِّدين في محراب (الذَّات)، معظِّمين لأنفسهم، وهذا مصدر كلِّ رذيلةٍ خلقيَّةٍ، وسببٌ لمحق كلِّ عملٍ صالحٍ. والَّذين يصابون بهذه البليَّة المردية يشعرون بأنَّهم - وحدهم - الأوصياء على الدِّين، ويغلقون عقولهم، وأعينهم عن رؤية فضائل الآخرين، فلا يرون إلا العيوب والمساوئ؛ بل تصبح الفضائل عندهم عيوباً، ومساوئ[٣].

---

٣. صفة الغرباء، ص ٩٧.

واجب الأمة تجاه
الصحابة رضوان الله عليهم



الشيخ شكري مجولي

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

لا يوجد في الكون أكمل من أصحاب رسول الله ﷺ بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأن الله اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ وأحبهم ورضي عنهم.

وما ظنك بقوم اختارهم الله تعالى لصحبة رسوله ﷺ، ولمواجهة خطابه في تنزيله، فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقه مِنن لا تُحصى، وأيادٍ لا تُستقصى، لأنهم هم الذين حملوا إلينا عنه ﷺ الحكم والأحكام، ونقلوا لنا القرآن وبينوا الحلال والحرام، وفهموا الخاص والعام، وفتحوا البلدان ونشروا الدين وأخرج الله بهم الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

• «إن الله نظرَ في قلوبِ العبادِ فوجدَ قلبَ محمدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ فاصطفاهُ لنفسِهِ فابتعثهُ برسالتِهِ ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمدٍ فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ فجعلهم وُزَرَاءَ نبيِّهِ...»[١].

محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله عنهم

حب الصحابة وتوقيرهم وموالاتهم يدخل في جملة حب النبي ﷺ، لأن الله عز وجل أثنى عليهم ومدحهم، فإذا أُنزلوا هذه المنزلة استحقوا على جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم؛ لأن الله تعالى إذا رضي عن أحد أحبه، وواجب على العبد أن يحب من يحبه مولاه.

وقد دلت النصوص الكثيرة على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وقد فهم أهل السنة والجماعة ما دلت عليه النصوص في هذا واعتقدوا ما تضمنته مما يجب لهم من المحبة على وجه العموم رضي الله عنهم وأرضاهم، ومن تلك النصوص قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن مالك وغيره، قال الإمام مالك بن أنس قال عبد الله العنبري قال مالك بن أنس: «من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين». ثم تلا قول الله عز وجل: «ما أفاء الله على رسوله...» حتى أتى على قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾. [الحشر: ٧- ١٠] فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في الفيء حق[٢].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُبلِّغُني أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصَّدر»[٣].

---

١. مسند الإمام أحمد ١/ ٢٧٩

٢. الحلية ٦/٣٢٧،و النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب للضياء المقدسي ١/٢٠-رقم ٣٢

٣. رواه أبو داود ٤٨٦٠، والتِّرمذي ٣٨٩٦



هذا الحديث يكشف عن مدى اهتمام المصطفى ﷺ بسَلَامة صدره، فهو ينهى ويحذِّر من أن يُنْقَل إليه ما يُوغِر صَدْره، ويغيِّر قلبه تجاه أصحابه الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الإمام أحمد رحمه الله في الصحابة:
«حبهم سُنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة»[٤].

قال أبو زرعة الرازي: سمعت قبيصة بن عقبة يقول: «حب أصحاب النبي ﷺ كلهم سُنة».

قال أيوب السختياني: «من أحب أبا بكر الصديق فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علي بن أبي طالب فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق»[٥].

قال الشاعر:

حب الصحابة والقرابة سنة •• ألقى بها ربي إذا أحياني
اِحذر عقاب الله وارجُ ثوابه •• حتى تكون كمن له قلبان

الاعتقاد الحازم الجازم بعدالتهم رضوان الله عليهم

أجمع أهل السنة والجماعة على شرف الصحابة رضوان الله عليهم، وعظمة شأنهم وعلو مكانتهم وسمو منزلتهم، وبيان عدالتهم، فالصحابة عدول كلهم أصحاب استقامة وصلاح ودين وأخلاق، اكتسبوا هذا التعديل الذي لا يعدله شيء بتعديل الله لهم، فكل واحد منهم عدل، إمام، فاضل، واجب على الأمة

---

٤. كتاب السنة للإمام أحمد ص ٧٧ - ٧٨.
٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري ٧/٣١٤.

تعظيمه وتوقيره واحترامه والترضي عنه والاستغفار له لأن احترامهم من احترام النبي ﷺ، قال القاضي عياض المالكي: «ومن توقيره ﷺ توقير أصحابه، وبرهم، ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة».

وأكد ابن حزم أن أي واحد ممن بعد الصحابة لا يمكن أن يبلغ مرتبة أدناهم، **فقال:** ولا سبيل إلى أن يلحق أقلهم درجة أحد من أهل الأرض»[6].



قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾ [سورة الأنفال: ٧٤].

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

وقال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه.

الإجماع على عدالتهم رضي الله عنهم

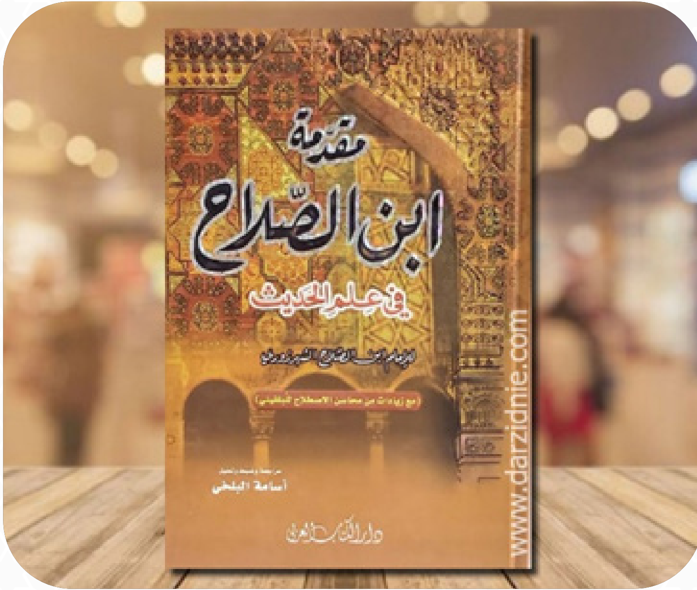
قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال: «هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء»[7].

٦. كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٥٢.

٧. الكفاية ص٦٧.

قال أبو عمر بن عبد البر: «ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كُفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم»[٨].

وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: «ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار»[٩]



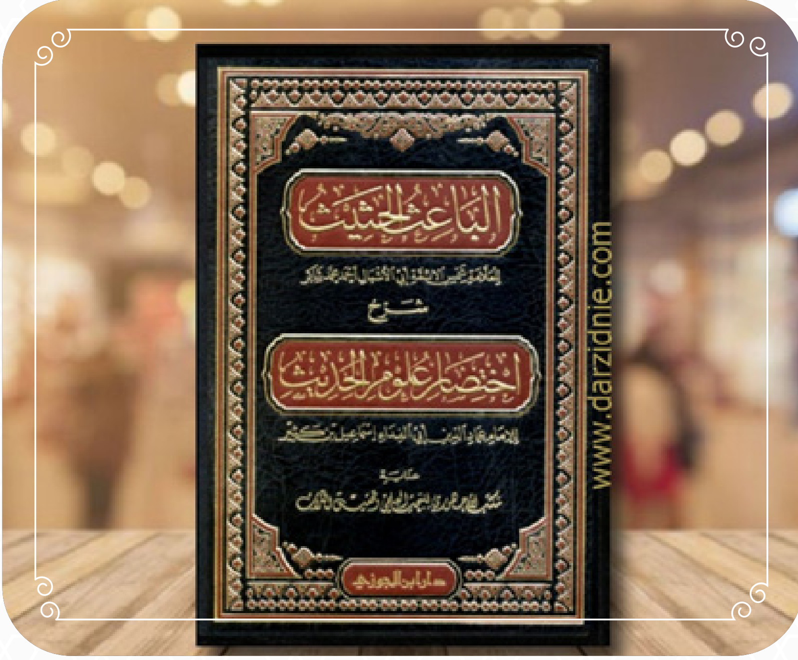
قال الإمام الغزالي: «فأي تعديل أصح من تعديل علام الغيوب سبحانه وتعديل رسوله ﷺ؟ كيف ولو لم يرد الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة والجهاد وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأهل في موالاة رسول ﷺ ونصرته كفاية في القطع بعدالتهم»[١٠].

ذكر ابن الصلاح أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: «للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة». وقال أيضاً: «إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم»[١١].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «ولهذا اتفق أهل الحق ومن يُعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم[١٢].

---

٨. الاستيعاب على حاشية الإصابة ١/٨
٩. فتح المغيب شرح ألفية الحديث ٣/١١٢
١٠. المستصفى ١/١٦٤.
١١. مقدمة ابن الصلاح ص١٤٦-١٤٧.
١٢. شرح صحيح مسلم ١٥/١٤٩.



- **وقال الحافظ ابن كثير:**

«والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل»[١٣].

وقال الحافظ العراقي في شرح ألفيته بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة: «إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان فأجمع من يُعتد به أيضاً في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد»[١٤].

- **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مبيناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال:** «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»[١٥].

وقال السخاوي: «وهم رضي الله عنهم باتفاق أهل السنة عدول كلهم مطلقاً، كبيرهم وصغيرهم، لابس الفتنة أم لا، وجوباً لحسن الظن، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر من امتثال أوامره بعده ﷺ وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس ومواظبتهم على الصلاة والزكاة وأنواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والإيثار والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة»[١٦].

---

١٣. الباعث الحثيث ص١٨١-١٨٢.

١٤. شرح ألفية الحديث المسماة بالتبصرة والتذكرة ٣/١٣-١٤.

١٥. الإصابة ١/١٧.

١٦. فتح المغيث شرح ألفية الحديث ٣/١٠٨.

وقال الألوسي رحمه الله تعالى: «اعلم أن أهل السنة أجمعوا على أن جميع الصحابة عدول يجب على الأمة تعظيمهم، فقد أخلصوا الأعمال من الرياء نفلاً وفرضاً، واجتهدوا في طاعة مولاهم ليرضى وغضوا أبصارهم عن الشهوات غضاً، فإذا أبصرتهم رأيت قلوباً صحيحة وأجساداً مرضى، وعيونا قد ألفت السهر»[١٧].

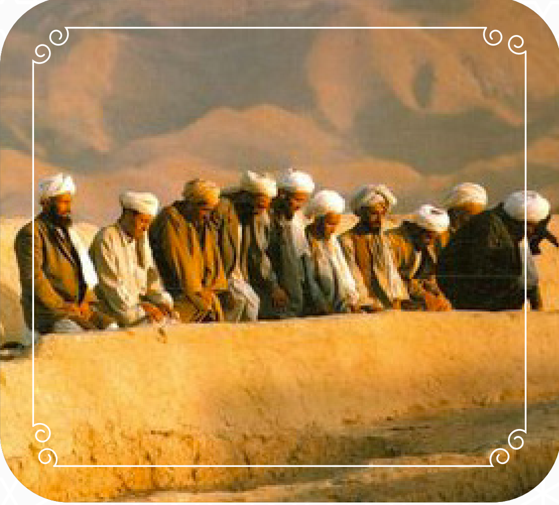
الاعتقاد أنهم من أهل الجنة

زكى الله الصحابة وعدّلهم، وأثنى عليهم ومدحهم، وتاب عليهم وبشّرهم بالرحمة والرضوان قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة، رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذاً بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون[١٨].

الدعاء والاستغفار لهم

من حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم على كل من جاء بعدهم من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم ويستغفر لهم، ويترحم عليهم، لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسوابق

١٧. الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية ص١٠.
١٨. تفسير ابن كثير ٢/٣٩٥.



القديمة، والمحاسن المشهورة، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم، فهم الذين نقلوا إلى من بعدهم الدين الحنيف الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ففضلهم مستمر على كل مسلم جاء بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد ندب الله جل وعلا كل من جاء بعدهم من أهل الإيمان إلى أن يدعو لهم، ويترحم عليهم، وأثنى على من استجاب منهم لذلك بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فالآية مشتملة على بيان موقف أهل الإيمان ممن تقدمهم من الصحابة، فقد بيّن تعالى أن موقفهم من أولئك الصفوة أنهم يثنون عليهم، ويدعون لهم ابتهاجاً بما آتاهم الله من الفضل، وغبطة لهم فيما وفقوا له من الأعمال المصحوبة بالإخلاص واليقين، وهذا الموقف المبارك ينطبق على أهل السنة والجماعة، فقد وفقهم الله للثناء الجميل والقول الحسن في أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الذين يترضون عنهم جميعاً ويستغفرون لهم، وحرم هذا الموقف العظيم الشيعة الرافضة الذين جعلوا رأس مالهم سبهم وبغضهم والحقد عليهم، وهذا خذلان أيما خذلان، أعاذنا الله منه.

روى الإمام مسلم عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة: «يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم»[١٩].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون»[٢٠].

---

١٩. صحيح مسلم: كتاب التفسير حديث رقم: ٥٢٥٢.
٢٠. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص١١٩.

قال النووي رحمه الله تعالى: «قولها: (أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم)، قال القاضي: الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهل الشام في علي ما قالوا، والحرورية في الجميع ما قالوا، وأما الأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه فهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠] وبهذا احتج مالك في أنه لا حق في الفيء لمن جاء بعدهم ممن يستغفرالله لهم والله أعلم»[٢١].

وأختم هذا البحث بشهادة المؤرخين الغربيين بعظمة الصحابة رضوان الله عليهم

يقول الألماني كاتاني في كتابه سنين الإسلام: «لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله الخلقي، ودعاة الإسلام في المستقبل، وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلغها إلى أهل التقوى والورع، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله وحبهم الخالص له، إلى عالم من الفكر والعواطف لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعاً.والواقع أن هؤلاء الصحابة كان قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد ﷺ إنما بذرت في أخصب أرض أنبتت نباتاً حسناً، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جداً، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها، وكانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول الله من كلام أو أمر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين»[٢٢].

ويقول الفرنسي المعروف الدكتور غوستاف ليبان في كتابه حضارة العرب: «وبالجملة فإن هذا الدين الجديد كان يواجه مناسبات وفرصاً كثيرة وإن فراسة الصحابة وحسن تدبيرهم قد جعلهم ينجحون لدى كل فرصة ومناسبة، لقد وقع الاختيار للخلافة في العهد الأول على أناس، كان جل غرضهم نشر الدين المحمدي»[٢٣].

---

٢١. شرح النووي على صحيح مسلم: ١٨/١٥٨-١٥٩

٢٢. نقلا عن كتاب صورتان متضادتان لأبي الحسن الندوي، ترجمة سعيد الأعظمي ص٢٣.

٢٣. حضارة العرب ص١٣٤.

خصائص الصحابة رضي الله عنهم

عبد الله الطبلوهي

باحث شرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛

فإن لصحابة النبي ﷺ من الفضائل والخصائص والمناقب والمواقف ما يوجب لهم التعظيم والتكريم وحسن الثناء وجميل الاقتفاء.

ووفاء ببعض حقهم كان هذا التذكير ببعض خصائصهم رضي الله عنهم التي ميزتهم وفضلتهم عمن أتى بعدهم ولم يلحقهم فيها أحد من الناس أجمعين.

• والخصائص أخص من الفضائل؛ فكل خصوصية لهم هي فضيلة من فضائلهم، وليست كل فضيلة لهم هي خاصة بهم فقد يشترك بعض الناس معهم في بعض الفضائل، أما الخصائص فلا يشترك فيها معهم غيرهم، ومن تلك الخصائص:



١. صحبة النبي ﷺ

الصحابة هم «من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»[١].

فهذا الشرف لم يجتمع إلا للصحابة رضي الله عنهم، وبه وصفوا بالصحبة الشريفة، فهي عبادة اختصوا بها لم يشاركهم فيها غيرهم، قال ابن حجر: «ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد»[٢].

وإذا كان خيار الأمة بعد الصحابة يتشرف بعضهم بأن يريه الله جل وعلا النبي ﷺ في المنام كما قال ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي» [متفق عليه]، فكيف بشرف من لقي النبي ﷺ في اليقظة وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

٢. تزكية الله جل وعلا لهم

زكى الله جل وعلا الصحابة الكرام ومدحهم بما لم يمدح به جيلا غيرهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢]، وقال جل وعلا: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

١. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر.
٢. فتح الباري.



قال الخطيب البغدادي: «عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص، وقيل: وهو وارد في الصحابة دون غيرهم..، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]..

في آيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها، ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك، وأحسن الثناء عليهم، والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها؛ من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين - القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء[٣].

٠٣ الصحابة خير القرون

جيل الصحابة رضي الله عنهم هم خير الناس والقرون، ولا يبلغ جيل بعدهم في الفضل ما بلغوه، قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [متفق عليه].

---

٠٣ الكفاية في علم الرواية.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ» [رواه أحمد].

قال النووي: «اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه.. ورواية خير الناس على عمومها، والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته.. والصحيح أن قرنه ﷺ الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم»[٤].

٤. الصحابة عدول ضابطون

ثبت بالإجماع المبني على الأدلة الكثيرة في فضل الصحابة رضي الله عنهم أن الصحابة رضي الله عنهم عموما عدول، بخلاف من بعدهم من القرون فيبحث فيهم عن عدالة كل شخص بعينه، قال ابن عبد البر: «الصحابة رضى الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول»[٥].



وكما أن الصحابة عدول فهم كذلك ضابطون متقنون لما نقلوه من علوم الشريعة، ولذلك خاطبهم النبي ﷺ في حجة الوداع وقد وقفت أمامه أمم كثيرة من الناس، فقال: «أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ» [متفق عليه].

وبسبب عدل وضبط الصحابة بالعموم فإن جمهور العلماء لا يبحثون في ذلك وإن خفي

---

٤. شرح مسلم.
٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

اسم الصحابي راوي الحديث بخلاف من بعدهم؛ لأن عدم معرفة اسم الصحابي لا يضر، قال ابن الصلاح: «الجهالة بالصحابي غير قادحة»[٦].

٥. النجاة في لزوم منهج الصحابة

الصحابة هم النموذج البشري غير المعصوم الذي يسير على هداه المهتدون عبر الأجيال حذرين من الفتن والأهواء والبدع والضلالات، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، فقال الصحابة: «وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» فقال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» [رواه الترمذي]



قال الملا علي القاري شارحا المراد بملة الصحابة رضي الله عنهم الواردة في الحديث:

«جعلها عين ما هو عليه مبالغة في مدحها وبيانا لباهر اتباعها حتى يخيل أنها عين ذلك المتبع»[٧].

فما أجمع عليه الصحابة فهو حجة، أما من بعدهم فإن إجماعهم لا يتأتى إلا باجتماع مجتهدي العصر وإن كانوا من طبقات متفاوتة كأن يكون بعض المجتهدين مثلا من طبقة التابعين وبعضهم من طبقة تابعي التابعين.

٦. الصحابة أمان للأمة

فكلما ابتعد الناس عن زمنهم كثرت الشرور والفتن والبلايا وأعظمها المصيبة في الدين حيث تنتشر البدع ويكثر الفسوق ويرتد أناس على أعقابهم والعياذ بالله، قال رسول الله ﷺ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ

٦. معرفة أنواع علوم الحديث.
٧. مرقاة المفاتيح.



لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» [رواه مسلم]، قال النووي: «قال العلماء: الأمنة بفتح الهمزة والميم والأمن والأمان بمعنى، ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، وقوله ﷺ: «وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ» أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا وقد وقع كل ذلك، قوله ﷺ: «وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ»[٨].

ومن أنواع الأمان الخاص بهم أنهم لصلاحهم سبب في تنزل الفتوحات في قرنهم، وسبب في تنزل الفتوحات في القرن الذي يليهم والذي يليه؛ لقرب صلة هذين القرنين بالصحابة واستضاءتهم من أنوارهم، فكان غالب ما فتح من بلاد الإسلام في تلك الحقبة المباركة من تاريخ الأمة، قال ﷺ: «يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ» [متفق عليه].

٧. وجوب حبهم وتعظيمهم والدعاء لهم

لعظيم منزلة الصحابة الكرام وجب حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم والدعاء لهم وحسن الحديث عنهم عامة، وحرم التنقص منهم، قال تعالى واصفا حال المهاجرين والأنصار وحال الذين من بعدهم معهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

---
٨. شرح مسلم.

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠]

قال سيد قطب: «هؤلاء الذين يجيؤون بعد المهاجرين والأنصار ولم يكونوا قد جاؤوا بعد عند نزول الآية في المدينة، إنما كانوا قد جاؤوا في علم الله وفي الحقيقة القائمة في هذا العلم المطلق من حدود الزمان والمكان- سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة، لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان، وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق، ممن يربطهم معهم رباط الإيمان.. وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود، تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب، ويحسب السلف حساب الخلف، ويمضي الخلف على آثار السلف، صفا واحدا وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان تحت راية الله تغذ السير صعدا إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم، إنها صورة باهرة تمثل حقيقة قائمة كما تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية يتصوره قلب كريم»[٩].

ولأن حقهم التعظيم جاء بيان فضلهم على من بعدهم والنهي عن ضده وهو القدح فيهم، فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» متفق عليه.

---

٩. في ظلال القرآن.

ولما تجرأ الغشوم عبيد الله بن زياد على الصحابي عائذ بن عمرو رضي الله عنه، وقال له: «اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ»، قال عائذ رضي الله عنه: "وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ" [رواه مسلم]، قال النووي: «هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة"[١٠].

وختاما: فإن هذه الخصائص المميزة لهذا الجيل الفريد تستوجب منا:

- بذل العناية الشديدة في دراسة سيرتهم.
- واستخلاص العبر والفوائد من حياتهم.
- والاقتداء بهم واقتفاء آثارهم.
- والقوة في حفظ الأمانة التي ورثناها عنهم.
- وتعظيم حقهم.
- والدفاع عنهم.

فيا سعادة من كان من اللاحقين فسار على درب الصحابة السابقين حتى لحق بهم إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، جعلني الله وإياكم منهم.

والحمد لله رب العالمين.

---

١٠. شرح مسلم.

جهود المحدثين

في حفظ التراث النبوي



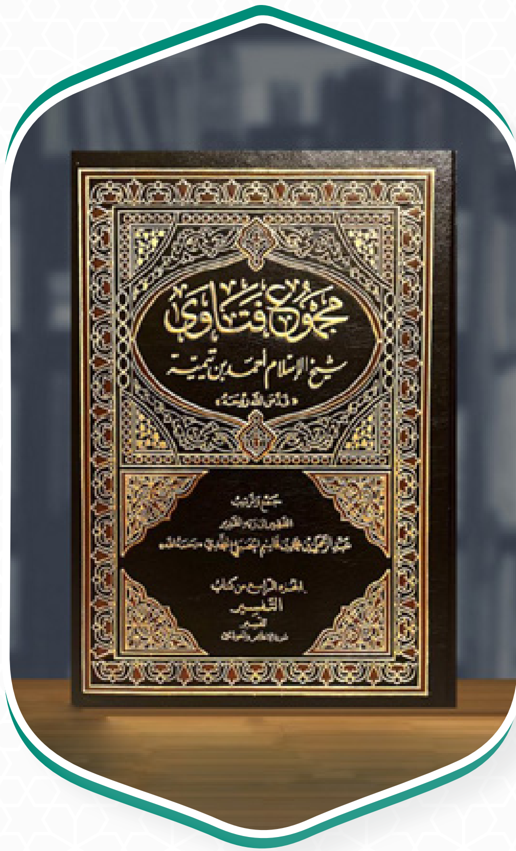
الشيخ سامي الساعدي

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

عجيب أمر هذا الدين وعجيبة أسباب حفظ الله تعالى له! في كثير من الأحيان يَحشد لهذا الدين الأعداءُ حشودَهم، ويستنفرون لاستئصاله قواهم، حتى يظن بعض أتباعه الظنون، لكن الله يصرف أولئك الأعداء، بقارعة تحل بديارهم، أو بجنودٍ أهل صدق وصبر، تحقيقاً لسنة التدافع، ﴿وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

• • وفي أحيان أخرى تُشحَذ الأقلامُ المسمومة، وتنطلق الألسنة الحِداد، وتُثارُ كائنة الشبهات، فيقيض الله تعالى في كل جيل رجالًا يقفون للشبهات بالمرصاد، ويشُنُّون عليها الغارةَ تلو الغارة حتى كأن لم تكن.

إنه حِفظُ الله تعالى لهذا الدين، بالسِّنان تارة، وبالبرهان تارة أخرى. وهو القائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] **وقال ﷺ: «إن اللهَ يَبعثُ لهذه الأمةِ على رأسِ كل مائةِ سنةٍ مَن يجدد لها دينَها»[١]. وقال أيضاً: «يحمِلُ هذا العلمَ من كل خلَف عدولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين»[٢].**



وفي قيام طائفتي السنان واللسان بحفظ الدين يقول ابن تيمية رحمه الله: «وقام علماء النقل والنقاد بعلم الرواية والإسناد، فسافروا في ذلك إلى البلاد، وهجروا فيه لذيذ الرقاد... ولهم في ذلك من الحكايات المشهورة ما هو عند أهله معلوم... بتوسد أحدهم التراب وتركهم لذيذ الطعام والشراب... أمرٌ حبّبَهُ الله إليهم وحلّاه ليحفظ بذلك دين الله. كما جعل البيت مثابة للناس وأمنًا، يقصدونه من كل فج عميق، ويتحملون فيه أمورًا مؤلمة تحصل في الطريق، وكما حبب إلى أهل القتال الجهاد بالنفس والمال حكمةً من الله يحفظ بها الدين ليهدى المهتدين، ويظهر به الهدى ودين الحق، الذي بعث به رسوله ولو كره المشركون»[٣].

حتى غدَتْ ملّةُ الإسلام وهي بِهم •• مِن بعد غُربَتِها موصولةَ الرحِمِ

مكـفولةً أبداً منهمْ، بخيـرِ أبٍ •• وخيرِ بَعْـلٍ فلمْ تيْتَمْ ولم تئِمِ

١. رواه أبو داود.

٢. رواه البيهقي وغيره، وصححه أحمد.

٣. مجموع الفتاوى ١/٧-٨.

جهود المحدثين في حفظ السُّنة

سنعرض في هذه المقالة لبعض جهود المحدثين في حفظ التراث النبوي، وتنقيته مما سعى الكَذَبةُ الوضاعون إلى إلصاقه به، فدفع الله كيدهم بجهابذة علماء الحديث، تحقيقًا لوعد الله بحِفظ الدين، وإجراءً لسنّة التدافع بين الحق والباطل. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]

ولقد تبلورت جهود أولئك العلماء في شكل علم قائم، بأصوله وأركانه، وقواعد بنيانه، فشمل علم الرجال: تراجمَهم وتواريخَهم، وأسماءهم وتمييزَ بعضها من بعض؛ ناهيك عن علم التخريج، والعِلَل، وغريب الحديث، وناسخه ومنسوخه، وأسباب وروده، كما يشمل معرفة أقسام الحديث باعتباراته المختلفة، كتقسيمه باعتبار من نُسِب إليه، إلى مرفوع وموقوف ومقطوع، وباعتبار الاتصال والانقطاع، فمن المنقطع: المرسل والمعضل والمعلق وغيرها، وباعتبار القَبول والرد إلى مقبول ومردود، ثم المقبول إلى صحيح وحسن، ودخل في المردودِ الضعيفُ على تفاوت مراتبه، وباعتبار عدد رواته رأسيًا (فينقسم إلى العالي والنازل) أو أفقياً (فينقسم إلى المتواتر والآحاد، ثم ينقسم الآحاد إلى المشهور والعزيز والغريب) كما يشمل طرق التحمل وما يعد منها اتصالاً وما لا يُعد، كما لم ينسَ أربابُ هذا العلمِ الجانبَ السلوكي التربوي، فتكلموا في الآداب الظاهرة والباطنة للراوي والسامع.

ولقد كان الأمر في أوائل عهد الصحابة مستقيمًا والكذب من غيرهم في زمنهم نادرًا؛ ولذلك لم يكن الصحابة يدققون كثيراً في أمر الرواة، وذلك لغلبة العدالة على الناس، لا سيما في نقل حديث رسول الله ﷺ، لكن الحال تغيرت نسبياً في آخر عهد عثمان رضي الله عنه، وقد أشار ابنُ عباس إلى هذا التغير حين قال: «إنا كنا مرةً إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعبَ والذَّلولَ لم نأخذ من الناس



إلا ما نعرف»[٤]. نعم! ركب الناس الصعبَ والذَّلول، وتساهلوا في النقل دون تثبت، فانبرى العلماء محذرين مِن خلطِ الحق بالباطل، سواءً كان خطأً أو عمدًا.

وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن المبارك أنه قيل له: هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: «يعيش لها الجهابذة»[٥]. كما روى عنه قولَه: «الإسناد من الدين؛ لولا الإسنادُ لقال من شاء ما شاء»[٦].

فصار الإسنادُ خصيصةً أنعم الله بها على هذه الأمّة دون غيرها. قال ابن حزم: «نقلُ الثقةِ عن الثقة يبلغ به النبيَّ ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين، دون سائر الملل»[٧].

الرحلة في طلبِ الحديث وعلوِّ الإسناد

ومن أجْل جمع سنة النبي ﷺ، وتخليصها مما أضافه إليها الوضاعون ركَضَ الأولون رواحلَهم، وأعملوا مَطيَّهم، وهجروا أهاليهم. بل إن الحديثُ يصلهم أحيانًا عبر سلسلة طويلة من الرواة، فلا يقنعون بذلك -رغم عدالة الرواة وضبطهم- حتى يرتحلوا ليسمعوا من المصدر المتقدم وليقللوا عدد الرواة في سلسلة الإسناد، وهذا ما يعرف عند المحدثين بطلب علو الإسناد، والذي قال فيه الإمام أحمد: «طلب الإسناد العالي سُنة عمن سلف؛ لأن أصحاب عبدالله (يعني ابن مسعود) كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر رضي الله عنه ويسمعون منه»[٨].

وقد أخذ بعض أهل العلم مشروعية طلب علوّ الإسناد من حديث ضِمَام بن ثعلبة رضي الله عنه، الذي بلغتْه أصول الإسلام عن رسول رسول الله ﷺ، لكنه جاء إلى المدينة ليسمعها من النبي ﷺ دون واسطة. قال الحافظ في فتح الباري: «استنبط منه الحاكمُ أصلَ طلب علو الإسناد؛ لأنه سمع ذلك من الرسول وآمن وصدّق، ولكنه أراد أن يسمع ذلك من رسول الله ﷺ مشافهة».

---

٤. رواه مسلم في مقدمة صحيحه.
٥. الجرح والتعديل ١/ ٣.
٦. السابق، ٢/ ١٦.
٧. الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل ٢/ ٦٩.
٨. مناقب الإمام أحمد ٢٧٨ - ٢٧٩.



وقد بلغ بهم التعلقُ بالإسناد العالي حدَّ الشغف والهيام، لأنه -فضلًا عن تقليل احتمال الخطأ- يُقرّب المسافةَ بينهم وبين محبوبهم ﷺ، وأعظَمُ ما يكون الشوق يوماً إذا دَنَتِ الخيامُ من الخيامِ!

ولهذا استسهلوا في سبيل تحصيله الصعاب، واستعذبوا لأجل الظفرِ به العذابَ.

قيل ليحيى بن معين وهو في مرض الموت: ما تشتهي؟ قال: «بيتٌ خالٍ وإسنادٌ عالٍ!»[٩].

وقد بوّبَ البخاريُّ في كتاب العلم من صحيحه: (باب الخروج في طلب العلم) وقال: «ورحلَ جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد». ثم روى حديثَ موسى والخضر عليهما السلام، حيث رحل موسى إلى الخضر ملتمسًا منه العلم.

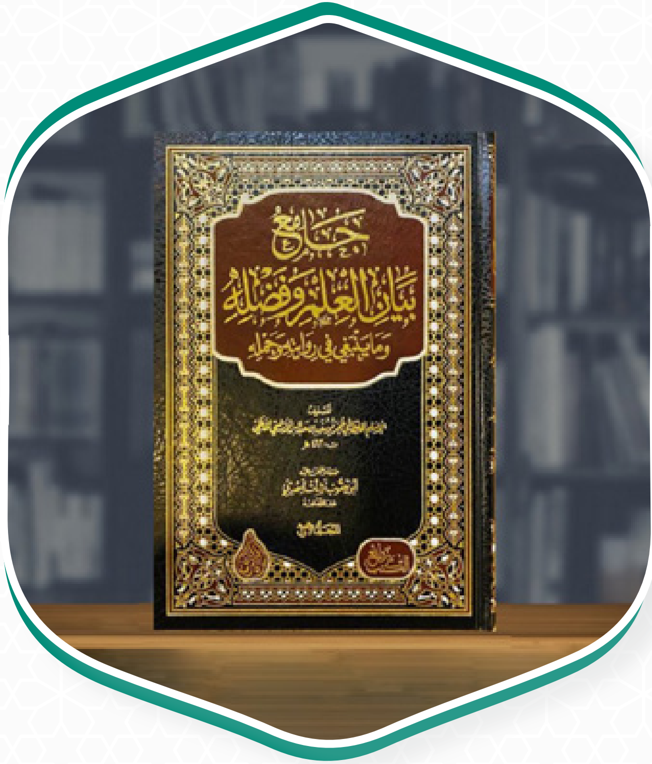
وبوّب كثير من المصنفين بابًا في دواوينهم للرحلة في طلب العلم كما فعل النسائي في سننه الكبرى، والدارمي، وابن عبد البر في جامع بيان العلم، والهيثمي في مَجْمع الزوائد، وغيرُهم.

بل صنف الخطيب البغدادي رحمه الله كتاب (الرحلة في طلب الحديث)، وقد حققه الشيخ العلامة نور الدين عتر رحمه الله وأضاف إليه كثيرًا من الأمثلة والفوائد.

ابن شهاب الزهري وجهوده في حفظ السُّنّة

إن أردنا أن نسوق مثالًا من عصر التابعين على الجهود التي بُذِلتْ لحفظ السنة، فلعل من أوائل الأسماء التي تقفز إلى الأذهان ابنَ شهابٍ الزُّهْريَّ، المتوفى سنة ١٢٤هـ، «الإمام العَلَم حافظ زمانه» حسب عبارة الإمام الذهبي.

٩. علوم الحديث لابن الصلاح ٢٥٦.



وقد تكرر ذكرُ ابن شهاب في الكتب الستة في أكثر من ٣٩٠٠ موضع، وروى عبد الرزاق في مصنَّفه عنه ١٨٠٠ حديث[١٠].

ظهرت مخايل النبوغ على ابن شهاب الزُّهْريّ منذ صِباه، حيث حفظ القرآن في ثمانين يومًا، ثم اتجه إلى علم الأنساب فعلمِ الحديث، حتى برع فيه وصار محطَّ أنظار العلماء والأمراء. روى ابن عبد البر بإسناده عن الزهري: قولَه: «أَمَرَنَا عمرُ بنُ عبد العزيز بجمع السُّنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كلِّ أرضٍ له عليها سلطانٌ دفتراً»[١١].

ولذلك فلا عجب أن يتعرض ابن شهاب الزهري لحملات التشويه والتجريح مِن قِبَل الفرق المنحرفة ومن المستشرقين على حد سواء، إذ إن أول أهداف حملاتهم إسقاط الأكابر من أهل العلم وتشويههم، حتى ما إذا نجحوا في تشكيك المسلمين بمروياتهم، كان مَن دُونهم أسهلَ، ولذلك خصوا الإمام البخاري بمزيد من تلك الحملات.

فقد زعم اليعقوبي الشيعي صاحب التاريخ أن الزُّهْريَّ وضَع أحاديث فضائل بيت المقدس لبني أمية، ليصد الناس عن الذهاب إلى الحرمين حتى لا يلتحقوا هناك بعبد الله بن الزبير المناوئ للأُمويين! وتَلَقَّفَ هذه الافتراءاتِ المستشرقُ اليهودي (جولدتسيهر). ولن أطيل في رد هذه الافتراءات فقد كفانا ذلك بعضُ جهابذة العصر ومنهم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه: السنة ومكانتها في التشريع. والدكتور محمد عجاج الخطيب في كتابه: السُّنّة قبل التدوين. فرحمهما الله وجزاهما خير الجزاء، ولكني سأذكر خبرين ثابتين عن ابن شهاب يبينان صلابته في الحق ولو كان ذلك أمام سلاطينَ بني أمية.

---

١٠. وذلك حسبما ذكره محمد بن علي بن جميل المطري في مقالته المنشورة على شبكة الألوكة بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٤٣٨.
١١. جامع بيان العلم وفضله، باب ذِكر الرخصة في كتابة العلم ١/ ٣٣١.

•• **الأول:** ما نقله الحافظ ابن حجر والذهبي كلاهما عن يعقوب بن شيبة بإسناده: «دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له يا سليمان {الذي تولى كِبْرَه} من هو؟ قال: عبد الله بن أُبَيّ. قال: كذبتَ، هو عليٌّ، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري فقال: يا ابنَ شهاب من {الذي تولى كبره}؟ قال: ابن أُبَيّ قال: كذبتَ، هو عليٌّ فقال: أنا أكذبُ لا أبالك؟! والله لو نادى منادٍ من السماء أن الله أحلَّ الكذبَ ما كذبتُ، حدثني عروة وسعيد وعبيد الله وعلقمة عن عائشة أن الذي تولى كِبْرَه: عبدُ الله بن أُبَيّ»[١٢].

والمقصود بـ(الذي تولى كبره) ما جاء في قوله تعالى في آيات قصة الإفك التي برأ الله فيها عائشة رضي الله عنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] وهو عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وليس علي بن أبي طالب كما زعم هشام بن عبد الملك.

•• **والخبر الثاني هو ما ذكره ابن حزم من** «أن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب كان عازماً على أنه إن مات هشام بن عبد الملك لحق بأرض الروم لأن الوليد بن يزيد كان نذر دمه إن قدر عليه»[١٣].

وقد كان الوليد رجلًا فاجرًا وكان ابن شهاب كثير الإنكار عليه. ومعنى نذر دمه: أهدرَه وأباحه، ومنه قول عنترة في معلقته:

الشّاتِمَيْ عِرضي ولم أشتِمهما •• والنّاذِرَيْنِ -إذا لَمَ الْقَهُما- دمي

فلم يكن ابنُ شهاب لِيُداهنَ أو يجاملَ.

مصنفو كتب الحديث وجهودهم في حفظ السُّنّة- أبو داود مثالًا

وأما مصنفو دواوينِ السُّنّة كأصحاب الكتب الستة ومَن دونهم، فقد مهدوا للناس طريقاً، قربوا بها لهم سُنة النبي ﷺ، ووضع الله لهم القَبول وسخر كثيرًا من العلماء من بعدهم لخدمة دواوينهم: شرحاً

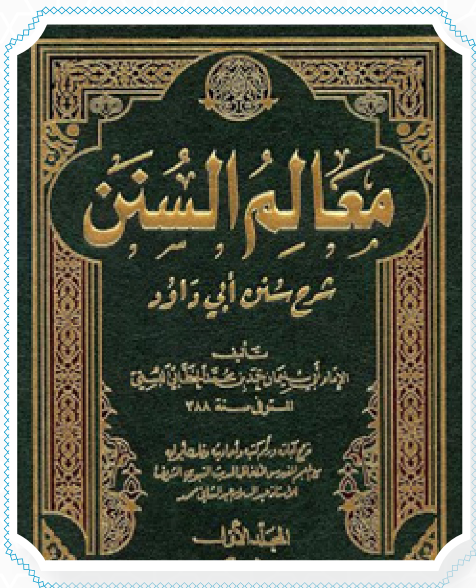
١٢. فتح الباري ٧/ ٣٣٦-٣٣٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٤٥-٢٤٦.

١٣. المحلى ١٢/ ١٢٥.

وتعليقاً واختصارًا وتهذيباً، واستنباطاً وتفريعاً، كما سخر للأئمة الأربعة من يخدم مذاهبهم ويحفظها ويرتبها إلى يوم الناس هذا.

وقد ذكر العلامة المسنِد الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله، طبقات كتب الحديث وجعلَها أربعَ طبقات من حيث الصحةُ والشهرة، جعل في الأولى: الموطأ والصحيحين، ثم قال: «الطبقة الثانية: كتبٌ لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين، ولكنها تتلوها. كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث... فتلقاها مَن بعدَهم بالقَبول، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة، واشتهرت فيما بين الناس، وتعَلَّقَ بها القومُ شرحاً لغريبها وفحصاً عن رجالها واستنباطاً لفقهها. وعلى تلك الأحاديث بناء عامة العلوم؛ كسنن أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي»[14].

ولم يعدَّ معها سنن ابن ماجه، إذ هو أدنى السنن الأربعة درجة، حتى إن بعض العلماء لم يعده معها، أما أعلى الثلاثة رتبة فهو سنن أبي داود، إذ هو بعد الصحيحين في القوة، وأبو داود هو سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، وهو أحد أكبر تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الترمذي والنسائي. وقد تتابع ثناء العلماء عليه وعلى كتابه «السنن»، حتى إنه لما صَنَّفه قال أبو بكر الصاغانيُّ وإبراهيم الحربيُّ: «أُلِينَ لأبي داود الحديثُ كما أُلِينَ لداود -عليه السلام- الحديدُ».



ووصَفَه ابنُ حِبَّانَ فقال: «أبو داود أَحَدُ أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً، وَنُسكاً وورعًا وإتقاناً، جَمَعَ وصَنَّفَ وذَبَّ عن السُّنَن». وقال الخطابي: «كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتابٌ مثلُ ، وقد رُزق القبولَ من الناس كافة، فصار حَكَماً بين فِرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فلكلٍ فيه وِرد ومنه شِرب، وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب، وكثيرٍ من مدن أقطار الأرض»[15].

---

١٤. حجة الله البالغة ١/ ١٣٢.

١٥. معالم السنن، ١/ ٦.

وقال الغزالي: «يكفي المجتهدَ معرفتُها من الأحاديث النبويّة». وقال ابن القيم: «ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء».

وقال أبو بكر بن داسة أشهر من روى عن أبي داود كتابه: سمعت أبا داود يقول:» كتبتُ عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمّنْتُه هذا الكتابَ، يَعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه»[١٦].



وقد طاف أبو داود الأمصارَ لجمع الحديث، فقد رحل إلى مكة والبصرة والكوفة وبغداد ومدن الشام: دمشق وحلب وحمص وحران، وغيرها من البلدان. وامتاز كتاب سنن أبي داود بسهولة تناوله، فقد ابتعد عن الغموض في تبويباته، كما أنه جمع الأحاديث التي يستدل بها علماء الأمصار، وصار في كثير من الأحيان مرجعًا عند الاختلاف.

وقد سأل أهلُ مكةَ أبا داود عن الأحاديث التي رواها في سننه، فأجابهم في رسالة لطيفة مختصرة عن شرطه في كتابه ومنهجه في إيراد الأحاديث.

رحم الله علماءنا، وكل مَن نصر النبي عليه الصلاة والسلام وسُنّته، في كل حين، جعلنا الله وإياكم منهم. ويرحم الله عبداً قال آمينا.

١٦. معالم السنن، للخطابي (٣٦٥/٤).

الأسرة الكتانية وخدمتها للسُّنة ❷

الشيخ عبدالحي الكتاني



د. الحسن بن علي الكتّاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

❹ أبو الإسعاد عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني:

ومن أهل بيتنا الذين دعوا للأثر ونشروا كتب السُنة ولهجوا بها، العلامة الحافظ أبو الإسعاد عبدالحي بن عبدالكبير، شقيق الشيخ الشهيد محمد بن عبدالكبير، وساعِده الأيمن .

•• وقد انقسم الناس في هذا الشيخ لطرائق قِدداً، وكلٌّ رآه من منظاره الخاص وحكم عليه به، فالسلفي حكم عليه بكونه صوفياً مبتدعاً، والوطني اتهمه بالخيانة لوطنه والعمالة للعدو المحتل، وكثير من أهل العلم رأوا فيه علّامة موسوعياً ولم يلتفتوا لمواقفه السياسية، وجماعة من أهل الحديث والإسناد رأوا فيه إمام المسندين في القرن

الماضي فهم يلهجون به وبكتبه، وجماعة من الباحثين يرونه من الزاوية العلمية وأنه كان مفخرة المغرب في القرن الماضي.

وأنا هنا أرجو أن أكون منصفاً عادلاً في حكمي لا تأخذني عصبية مذهبية ولا نسبية، فأقول:

كان للشيخ عبد الحي مرحلتان في حياته:

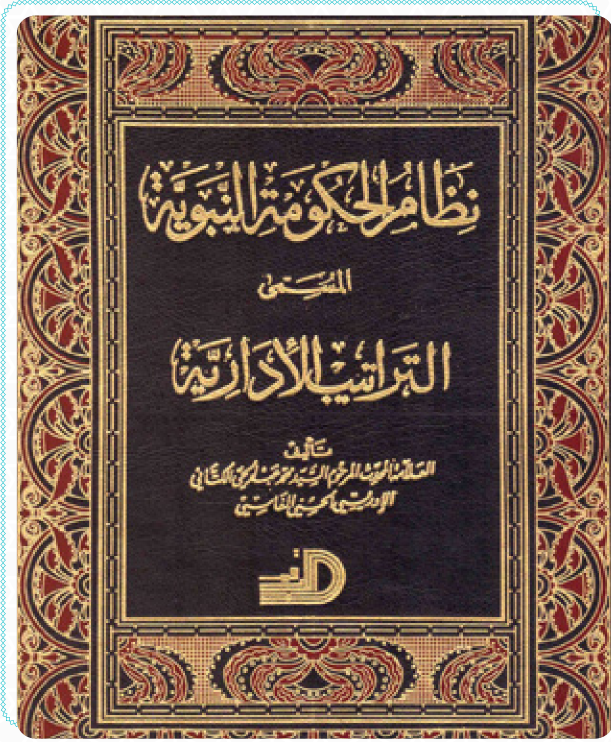
- مرحلة العمل الثوري الجهادي.
- مرحلة العمل العلمي الدعوي وترك العمل الجهادي.

وسبب تغيره هو الابتلاء الذي ابتُلي به رفقة أخيه وآل بيته على يد مَن نصروه وأيدوه وكانوا سبباً في استتباب الأمر له، وخذلان جل علماء وقتهم لهم بل خيانتهم لهم وكذلك خذلان الكثير من الأتباع، مما جعل فكرة مقاومة المحتل بالعمل المسلح فكرة فاشلة في نظره، خاصة وجُل بلاد المسلمين احتلها العدو وفشلت المقاومة فيها، كما أنه رأى أن الأمة تحتاج لإصلاح ديني وعلمي كبير، هذا هو سبب انهزامها وانهيارها أمام أعدائها.

كان هذا التحول بعد خروجه من السجن سنة ١٣٢٨هـ، ثم توقيع السلطان الذي أتي به ليجاهد المحتلين لعقد الحماية معهم بموافقة وفُتيا كبار علماء المغرب آنذاك، بل وهرولة كثير منهم لقادة الاحتلال ومدحهم وأخذ النياشين منهم. بل وإفتائهم بقتال المجاهدين لكونهم خوارج على ولي الأمر الذي رأى المصلحة في هذا العقد.

وهذا الاختيار الذي رآه الشيخ خالفه فيه جل أهل بيتنا ولم يوافقوه عليه، ولكنه كان رأي جماهير العلماء بما فيهم الذين يعدّهم الناس اليوم رواد الإصلاح، أمثال أبي شعيب الدكالي، وابن العربي العلوي، ومحمد بن الحسن الحجوي.

وقد اطلع العلامة عبد الحي بن عبد الكبير رحمه الله على كثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة لم يطلع عليها كثير من أهل زمانه، بحكم ما تهيأ له من سفرات كثيرة وطول عمر وعلاقات واسعة مع همة عالية جداً في جرد الكتب وفهم ما فيها، فنتج عن ذلك اطلاعه على كتب السنة والأثر التي كان الناس يسمعون بها فقط ولم يروا لها أثراً. ولذلك فقد صرح بعقيدته السلفية في «البيان المعرب» له بعد أن نقل تأويلات لمتأخري العلماء:

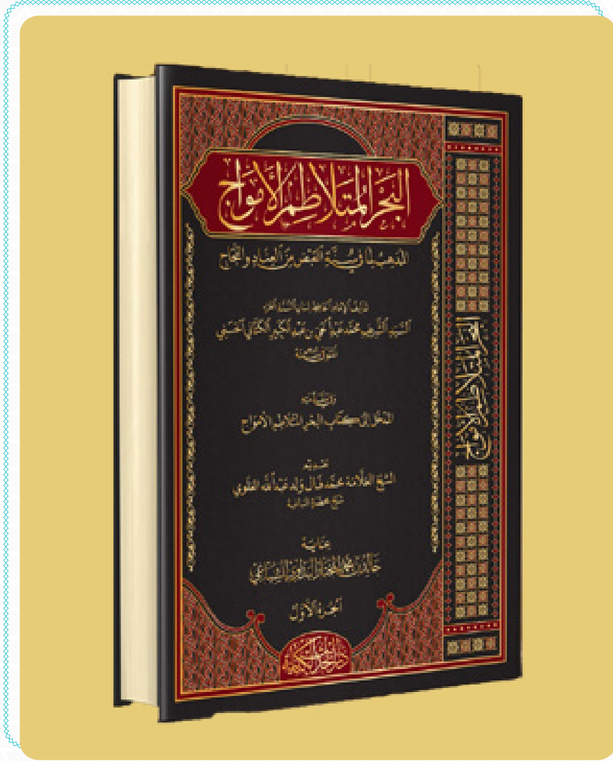


«ولا شك أن هذا الحمل جار على طريقة الخلف الذين يؤولون أخبار القرآن وأحاديث السنة المتشابهة بالحمل على ما يطابق العقل والنقل، وأما مَن كان سلفي العقيدة أثري الفطرة فلا شك أنه لا يقْدم على ما أقدموا عليه، ولذلك قال مختصر كتاب «الأسماء والصفات» عقب ما سبق عن البيهقي: كل ما ذكره من معاني الأحاديث في هذا الباب عنه وعن غيره له من طريق الخلف التي تخالف ديدن السلف، والتفويض هو الأسلم، وفيه السلامة عن الخطأ وإحالة المراد إلى الله ورسوله ﷺ».

ثم قال رحمه الله: «ولا يشك عاقل موقن أن طريقة السلف في مسألة المتشابه أسلم المذاهب وأولاها بالحق والقبول، وناهيك بنسبة هذا القول للسلف الذين هم الصحابة فمن بعدهم من أهل القرون الثلاثة والصوفية كافة وأهل الحديث قاطبة، وقد نقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» أنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك، يعني المتشابهات، ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبة الله إليه مما لا يجوز، مع حث التبليغ عنه بقوله: «ليبلغ الشاهد الغائب»، حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرته، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ، فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم".

ثم قال: «ونقل عن الإمام الشافعي أنه قال: إن لله صفات وصف الله بها نفسه، ووصفه بها نبيه ﷺ مما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والروية، فنحن نثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]».

ثم قال: «وعلى هذه العقيدة السلفية مات الأشعري وإمام الحرمين وغيرهما من نظار المتأخرين. ومن أفرد الانتصار لها بالتأليف شيخ أشياخنا اليمنيين الإمام الحافظ محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، سماه «الانتصاف لمذهب الأسلاف». وراجع رسالتنا على حديث الأولية وما كتبناه على ختم أحاديث الأربعين النووية والله الهادي. فعلى هذه الطريقة التي هي معتقده وأمنيتنا أن نموت عليها إن شاء الله...» إلخ كلامه رحمه الله.



وهو كلام نفيس يدل على عقيدته بوضوح وكان أبو الإسعاد عبد الحي بن عبد الكبير رحمه الله يميل للتصوف مثل جل علماء المسلمين عبر القرون، ويرى أن التصوف مدرسة تعنى بالتربية والتزكية، كما كان يرى أن الطريقة عبارة عن تنظيم يساعده على نشر أفكاره والتحرك من خلاله. غير أنه كان له نقد لواقع التصوف في القرون المتأخرة وكان يرى وجوب إصلاحه بدل هدمه كما كان يرى إصلاح العقيدة والفقه الإسلامي بإرجاع الجميع للكتاب والسُّنة.

قال ولده القاضي الأديب عبد الأحد في مقدمته لـ «فهرس الفهارس»: ورأيه في الطرق الصوفية وجوب إصلاحها تدريجياً والسعي في تربية علمية دينية لا القضاء عليها، فإنها الرابطة الوحيدة بين كثير من المتدينين اليوم.

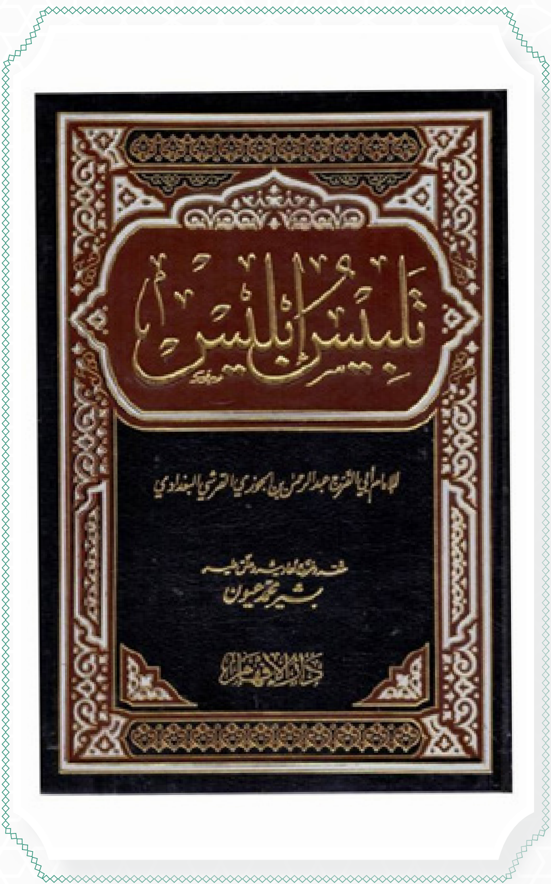
قال أبو محمد: الطرق في زمانهم كانت هي الجماعات الإسلامية في زماننا وتعطيلها دون بديل عنها تسبب في ضياع كثير من الناس وانحرافهم.

ثم قال القاضي عبد الأحد رحمه الله: سيدنا الشيخ الإمام المترجم أكبر ساع ومدير لدواليب عاطفة الاتحاد بين مختلف أرباب الطرائق والمبادئ والغايات، ثم قال: ساع لتمكين العقيدة السلفية منهم وإيثار الأوراد النبوية المأثورة على غيرها مخفف لوطأة غلو الاعتقاد منهم.

قال أبو محمد: وهذا الكلام ذكر الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله ما يشبهه في حديث دار بينه وبين الشيخ عبد الحي في مقدمة كتابه «الهدية الهادية للطائفة التيجانية».

وقال تلميذه العلامة محمد بن أبي بكر التطواني رحمه الله في «ذيل الفهرس العلمي» (ص١١٩) للمصلوت:
ولقد قال لي في يوم من الأيام وهو في طريقه إلى الزاوية: أربعة من الأئمة أجد لهم في قلبي من الإجلال ما لم أجده في غيرهم من عظماء الإسلام، وظننت أنه سيذكر الشيخ الأكبر (الحاتمي) ومن هم على مشربه، ولكن الواقع بعكس ذلك، فالأربعة هم ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦، وابن العربي المتوفى سنة ٥٤٣، وابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧، وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ .

ثم ذكر تمجيده لكتاب «تلبيس إبليس» وأنه أهم كتاب فضح المكايد ضد الإسلام وأرجعه إلى صفائه.



أقول: ولذلك كان الشيخ يمجد شيخ الإسلام ابن تيمية كثيراً ويجله ويرفع من شأنه. وفي رسالة بعثها لصديقه العلامة الأثري محمد المكي بن عزوز رحمه الله بين أنه بعد رحلته للحج الأولى اقتنى الكثير من كتبه فعرف مقداره في الإسلام وأنه كان ناصراً للسنة بريئاً مما يصمه به متأخرو المتكلمين بالتجسيم وما إليه. بل وصفه في «فهرس الفهارس» (٢٧٤/١) بإمام السنة الحافظ الكبير، وأن الإنصاف فيه هو قول الذهبي وابن كثير بأن خطأه بالنسبة لصوابه كنقطة في بحر لجي، وأنه خطأ مغفور له كما في «الصحيح».

وكتبه الأخيرة في مناقشة بعض كبار مشايخه من أهل بيته وغيرهم تدل على كونه ممن يتبع السنن والآثار، ولو خالفت مذهب الآباء والأجداد.

وقد كان يدل كثيراً من نبغاء أصحابه لكتب شيخ الإسلام؛ كما حدث مع تلميذه وتلميذ أخيه العلامة عبدالرحمن النتيفي رحمه الله الذي بقي وفياً له ولأخيه إلى آخر عمره.

تجديد الفقه

وكان الشيخ عبد الحي من كبار دعاة تجديد الفقه عاداً نفسه من العلماء الأثريين، رافضاً للجمود الفقهي الذي ابتلي به المسلمون في القرون المتأخرة، ولذلك نراه يربط علاقات وطيدة بمن كان على نفس المنهج في المغرب وخارجه كمحمد بن الحسن الحجوي صاحب «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» والذي نوه به وقرظه، ومحمد جمال الدين القاسمي الدمشقي صاحب المؤلفات النفيسة، وقد نوه في «فهرس الفهارس» (٤٧٧/١) بكتابه «إصلاح المساجد من البدع والعوائد»، وأرسل له رسالة يقول فيها: «ولتعلم حضرتكم أن الفقير مسرور غاية السرور بوجود مثلكم في هذا العصر، لما جمعتم من حسن الأخلاق وطيب الأذواق، مع العناية بالأثر والاندراج في سلك المسندين ومحبة الأثريين والشغف بجمع تراجمهم.»

وتوطدت علاقته بمحمد المكي بن عزوز التونسي العلامة الأثري الذي قال فيه في «عمدة الأثبات» له: «لأنه من أئمة هذه الصناعة ومن الداعين إلى التعلق والتحقق بالأنفاس النبوية والمكارم الأثرية، فهو ممن يقول ويفعل لا كمن يأخذ ويعطي الإجازة ويدرس الصحيحين ولا يقتدي بما فيهما ولا يعتمد على إفادتهما استغناء بأوهام الآراء وعصارة الأذهان».

• وصنف الشيخ عبد الحي كتابه العجاب «البحر المتلاطم الأمواج فيما حصل في سنة القبض من اللجاج» في مجلدين ضخمين فدعا فيه للسنة والعمل بها وترك المذهب إذا استبانت، والكتاب قد طبع بتحقيق صديقنا الأستاذ خالد السباعي وفقه الله. فلما وقف عليه ابن عزوز قال فيه: «وإن أكبر ما أعجبني منه أنه لا يختص بنصرة القبض بل داع إلى السنن كلها، ذاب عن المنهج المحمدي كله دامغ لرؤوس المبتدعة من غلاة المقلدة».

• وصنف الشيخ عبد الحي في الدعوة للاجتهاد كتابه «إفادة النبيه لمن ادعى الاجتهاد أو ادعي فيه»، دعا فيه للاجتهاد ونوه برجالاته وأوسع ترجمة فيه كانت لشيخ الإسلام ابن تيمية وقال فيه: «نادرة الدنيا في الحفظ ثبات الجأش والتبحر في العلم بما لم نره في كتب أحد من علماء الأمة وكتبه شاهدة بادعائه بل ووصفه بما يكون أكبر وأكثر من الاجتهاد المطلق المستقل». وهذه شهادة علامة مطلع اطلاعاً كبيراً على تراجم الرجال وأحوالهم وهي تنبيك عن منهجه وتوجهه.

الشيخ عبد الحي وحقبتان في التاريخ المغربي



ولا يكتمل الكلام على العالم حتى نسبر مواقفه من الواقع الذي كان يعيشه فهو مجال كبير لتفاضل الرجال، وقد عاصر الشيخ عبد الحي حقبتين في التاريخ المغربي، حقبة المؤامرات على استقلال المغرب، وحقبة الحماية واحتلال الجيوش الفرنسية الكافرة لأرضه.

•• **فأما الحقبة الأولى** فكان فيها الساعد الأيمن لشقيقه الإمام أبي الفيض الشهيد، وفيها كتب كتابه القوي «مفاكهة ذوي الإجادة حضرة مدير جريدة السعادة»، حيث حرر فيها مسألة خلع السلطان المنحرف، ورِدة من والَى أعداء الله عزّ وجلّ، وغير ذلك من المباحث.

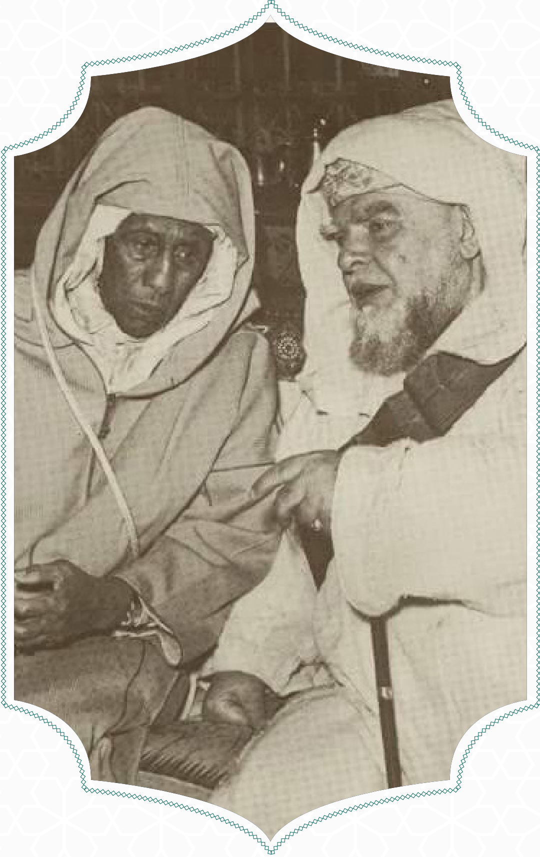
•• **وأما الحقبة الثانية** فهي بعد اعتقاله واعتقال أفراد (تنظيمه) الطريقة الكتانية ثم مقتل زعيم الطريقة شقيقه أبي الفيض تحت التعذيب، على يد السلطان الذي ناصروه وسهلوا بيعته وممالأة العلماء الذين كانوا مؤيدين لهم للسلطان ومداهنته على حساب محنتهم. ثم توقيع السلطان لعقد الحماية. ومما يجب أخذه بعين الاعتبار أن المغرب جاءه الاحتلال في صورة عقد حماية بين ولي الأمر، تقوم بمقتضاه الدولة الحامية بتطوير المغرب وإصلاحه مع احترام الإسلام وشعائره وتركها تحت نظر السلطان أمير المؤمنين، وقد صدرت فتوى من كبار العلماء بوجوب طاعة ولي الأمر في ذلك وأنه نظر لمصلحة المسلمين! فماذا كان موقف علماء المغرب من هذا العقد؟

انقسموا لفئات: فطائفة رفضته واعتبرته تحايلاً على الأمة وأوجبت الجهاد ضد القوات الغازية، أو الهجرة من دار علاها الكفر لدار إسلامية عند عدم القدرة على الجهاد. وهذا موقف الإمام محمد بن جعفر وإخوانه، والإمام ماء العينين الشنقيطي وأبنائه، وأتباع الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، وجماعات من فقهاء بلاد جبالة والهبط والريف وعلى رأسهم الفقيه ابن يرماق ثم ابن عبد الكريم الخطابي.

وطائفة رأت الإصلاح من خلال الواقع الجديد لضعف المسلمين وجهلهم وشدة تخلفهم، ولم يروا فائدة من الجهاد بل العديد منهم رأوا أنه يجلب البلاء على المسلمين ويزيد مآسيهم! وهذا هو موقف الكثير

من العلماء الذين تبنوا الإصلاح الديني؛ كأبي شعيب الدكالي، ومحمد بن الحسن الحجوي، ومحمد بن العربي العلوي، وعبد الحي الكتاني، وكثير من القضاة والفقهاء.

وطائفة كبيرة رأوا الانتفاع من العهد الجديد واستغلاله؛ فمالأوا المحتل ومدحوا رجالاته بقصائد طنانة وكثروا سواد تجمعاته واستقبلوهم عند مجيئهم وودعوهم عند سفرهم، وبالجملة باعوا دينهم بدنيا غيرهم، وأفتوا بقتال المجاهدين وأنهم خوارج مارقون شاقون لعصا ولي الأمر. وقد تتداخل مواقف هؤلاء بمواقف من قبلهم.



وبالجملة فجماهير علماء المغرب إلا القليل تعاملوا مع المحتل على أنه السلطة الجديدة الحقيقية لأن السلطان لم يعد له سلطة إلا صورية، بل أصبح ألعوبة في يد المحتل.

•• وبهذا يتبين أن الشيخ عبد الحي تأثر بمحنته فأجرى (مراجعات فكرية) في منهجه الدعوي رأى فيه مداراة السلطة الفرنسية واستخدام التقية معهم لمصلحة مشروعه الدعوي الذي أوضحناه من قبل، ولكنه لم يكتب شيئاً في مدح المحتل ولا سب المجاهدين؛ بل نجده يمدح بعضهم في عز قتالهم للمحتل، كما فعل في مدح أحمد الهبة ماء العينين وهو يقاتل المحتل في الجنوب المغربي.

وهذا توضيح مني لموقف الشيخ وإلا فموقفي هو موقف الإمام محمد بن جعفر وجل أهل بيتنا رحمهم الله.

حقيقة الخلاف بينه وبين الحركة الوطنية

ولنختم بهذه ما يتعلق بالشيخ عبد الحي الكتاني، وفيها نوضح حقيقة الخلاف بينه وبين الحركة الوطنية، التي امتزج فيها حق وباطل وأناس مخلصون مستقيمون وآخرون بخلاف ذلك، بل وامتزج فيها دعاة للسنة مع دعاة للعلمنة والتحرر من الدين، وبالمقابل امتزج في معسكر الشيخ عبد الحي حق وباطل أيضاً، وأعظم

خطأ كان في معسكر الشيخ عبد الحي عدم وجود خطة واضحة لطرد المحتل من البلاد وكأنه قدر مقدور لا مرد له، بل محاولة استخدامه لنشر أفكار إسلامية طيبة وأنى للذئب أن يستأمن على الشياه.

ولذلك تطور الأمر حتى وصل للنزاع مع السلطان الذي كان مقرباً للحركة الوطنية مائلاً لأفكارها ومنها فكرة (تحرر) المرأة على طريقة قاسم أمين، فضلاً عن أمور أخرى كان ينادي بها الوطنيون ظهرت بوضوح بعد الاستقلال.



وأخيراً نقول باختصار:

إن الشيخ عبد الحي في منهجه العلمي النظري كان لبنة من لبنات الإصلاح الديني والاقتراب من منهج أهل السنة الصافي، وفي منهجه الحركي في التعامل مع دولة الحماية اختار مسالمتها والتعاون معها كما فعل ذلك جماهير علماء المغرب، ولست موافقاً لهم ولا راضياً عما فعلوا بل كان الواجب على العلماء بعد دخول فرنسا إعلان الجهاد ونصرة المجاهدين لطردها ورفض وثيقة الحماية المشؤومة، وأما الحركة الوطنية فلا شك أن فكرتها في استقلال المغرب كانت هي الصواب ولا يمكن قبول التعاون مع المحتل ضدها مهما قلنا فيها؛ لأن المحتل في واقع الأمر جاء لتنفيذ تلك الأهداف وهي استقلال بلاد المسلمين استقلالاً صورياً يبقي ثقافته وقوانينه في البلاد.

• لكني أؤكد أنه حتى في الموقف من السلكان وخلعه وبيعة ابن عمه فجمهور العلماء كانوا موافقين مؤيدين لتلك الخطوات، وإن كان سائر علماء أهل بيتنا رافضين لخلع ابن يوسف غير موافقين على بيعة ابن عرفة مهما قيل في مسوغاتها. ويظهر أن اختلاط الأمور بلغ أشده في ذلك العصر وصعب على كثير من العلماء اتخاذ موقف واضح لا يختلط فيه حق بباطل. فاللهم اغفر للجميع و تجاوز عنهم. والحمد لله رب العالمين.

توفي الشيخ عبد الحي الكتاني بفرنسا سنة ١٣٨٢ رحمه الله وغفر له.

مؤلفاته وآثاره

لقد أعطي الشيخ عبد الحي حظاً كبيراً وتوفيقاً عظيماً، فيما كتبه من كتب وخلفه من آثار، نقتصر هنا على المتعلق منها بعلم الحديث رواية ودراية:

* ختمة الأربعين النووية. * تعليقه على جامع الترمذي. * المسلسلات الكبرى. *تخريج ثلاثيات البخاري. * الأربعون المسلسلة بالأشراف. * أسانيد صحيح مسلم. * ختمة جامع الترمذي أملاها بالقرويين سنة ١٣٢٨هـ. * النور الساري على صحيح البخاري. * الإجازة إلى معرفة أحكام الإجازة. * المسالك المتبوعة في الأحاديث الموضوعة. * الفيض الجاري على ثلاثيات البخاري. * التنويه والإشادة بنسخة ورواية ابن سعادة من صحيح البخاري. * فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. * المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية. *التراتيب الإدارية. في نظام الحكومة النبوية. * تاريخ جامع القرويين. * تاريخ المغرب الحديث وهو مخطوط من خمسة أجزاء يوجد ضمن كتبه المنقولة للقصر الملكي بمراكش. * نفح العطر الزكي من تلخيص فهرس الحضيكي واليابوركي. * رفع الأصر ودفع الضير عن إجماع الحافظ أبي بكر بن خير. * غاية الاستناد في أغلاط إمداد ذوي الاستعداد. * الإسعاف بالإسعاد الرباني في إجازة الشيخ النبهاني. * جلاء النقاب عن أحاديث الشهاب. * استجلاب شفاعة الرسول من جمع أربعين حديثاً من كلامه العذب المقبول. * الإلمام ببعض أحاديث الحمام. * المباحث الحسان المرفوعة إلى قاضي تلمسان. * المسالك المتنوعة في الأحاديث الموضوعة. * الطوالع الفخرية في السلاسل القادرية. * المورد الهائل على كتاب الشمائل. * الطالع السعيد إلى المهم من الأحاديث المسلسلة بيوم العيد. * الرحمة المرسلة في شأن حديث البسملة. * مولد شريف. * ارتقاء الهمم العلية إلى ما علق بالبال على حديث الأولية. * مرقاة التخصيص في الكمالات المحمدية.

وللحديث بقية في المقال القادم إن شاء الله

مساحة إعلانية

سلسلة السيرة النبوية

الشيخ د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لوقائع السيرة النبوية التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- الغزوات النبوية

سلسلة السيرة النبوية الفرنسية

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

- السيرة النبوية الفرنسية

أئمة الهدى

﴿قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾

من تراث علمائنا الراحلين



موافقات الصحابة ودلائل النبوة

أ. د. محمد سيد أحمد المسير



رحمه الله

من مباحث علوم القرآن، أسباب النزول، وهي الحادثة أو الواقعة التي نزل بشأنها القرآن أول ما نزل.

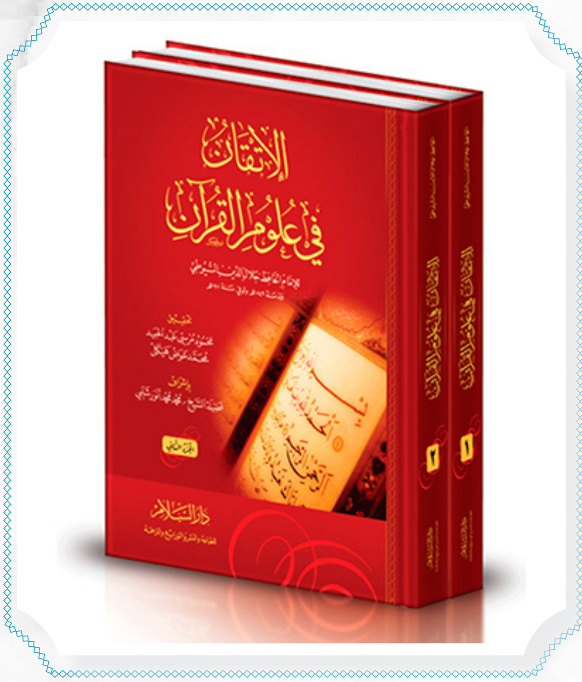
ومعرفة سبب النزول يعين على فهم النص القرآني، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.. لكن اتفاق العلماء على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

* د. محمد المسير، فكرٌ للصحابة تنزّل به الوحي، ط. دار المعارف-القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١١-١٩.

موافقات الصحابة

وموافقات الصحابة نعني بها ما نزل من القرآن المجيد موافقاً لما ورد على لسان بعض الصحابة من رأي أو تعبير قبل علمهم بكونه نصاً أو قرآناً يُتلى.

وهذه الموافقات هي لون من أسباب النزول، وقد عدها الإمام السيوطي النوع العاشر من علوم القرآن في كتابه (الإتقان)[1].



وفى هذه الموافقات دلالة على تكريم الله لهؤلاء الصحابة حيث ألهمهم الله هذا الرأي أو ذاك التعبير.

موافقات عمر

والموافقات كثيرة، ويُعد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشهر الصحابة في هذا المجال لمنزلته السامية في الدين ومكانته الرفيعة بين الصحابة، فقد قال فيه الرسول ﷺ: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه".

وقال عنه ابن مسعود رضي الله عنه: "إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت عدلاً، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه".

ومن موافقات عمر ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟! فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟! فنزلت آية الحجاب.

---

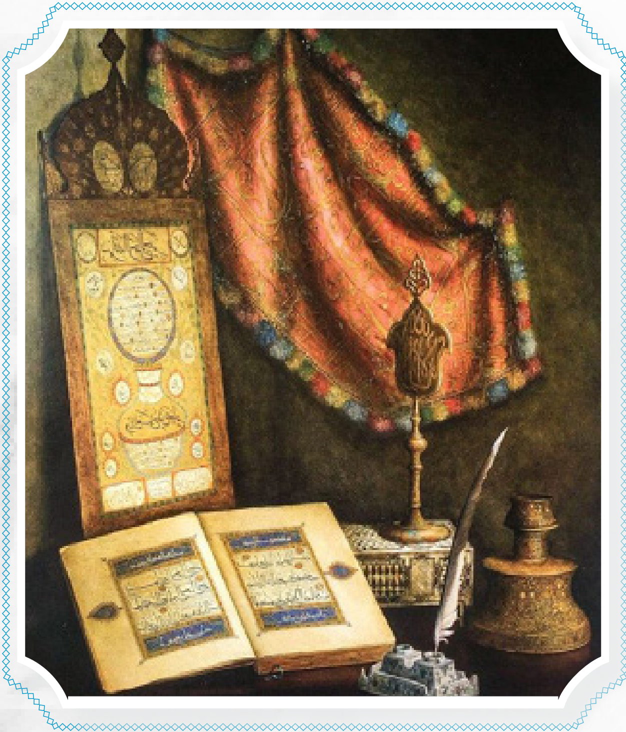
١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، طبعة البابي الحلبي.

واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]. فنزلت كذلك.

وهناك رواية لمسلم تذكر ثلاث موافقات لعمر رضي الله عنه، من بينها أسرى بدر بدلًا من موقف النساء في الغيرة. والعدد لا مفهوم له عند العلماء، فهناك موافقات أخرى لسيدنا عمر.

فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي ميسرة عن عمر أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩]. فدعى عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]. فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران. فدعى عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعى عمر فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؟

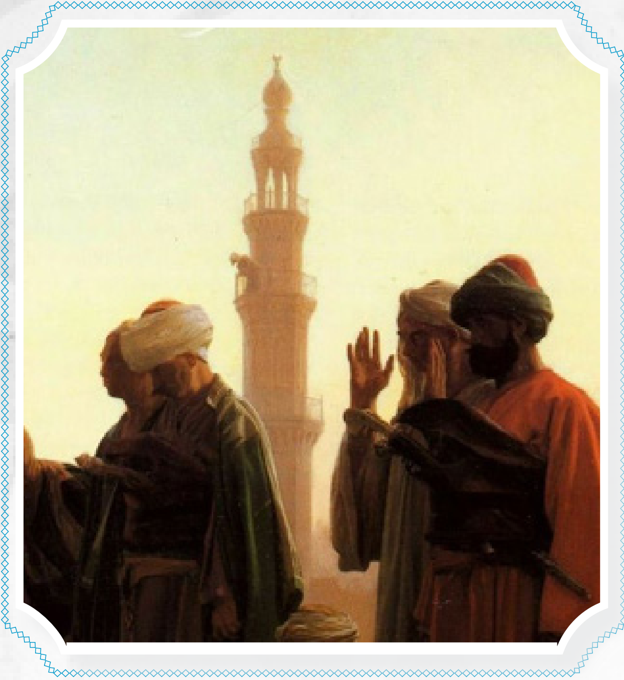
قال عمر: انتهينا، انتهينا.



كذلك فلسيدنا عمر آراء تتعلق بالمنافقين نزل بشأنها الوحي الأمين، وأخرج ابن أبي حاتم رواية تقول: إن يهودياً لقى عمر فقال إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. فنزلت على لسان عمر.

ولكن الإمام ابن كثير حكم على مثل هذه الرواية بأن فيها انقطاعاً[٢].

٢. تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٣١.



وفي إضافة جديدة يسوق ابن أبي حاتم موقفاً آخر يتعلق بالآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فلما سمع عمر هذه الأطوار لخلق الإنسان قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٤]، فنزلت كذلك.

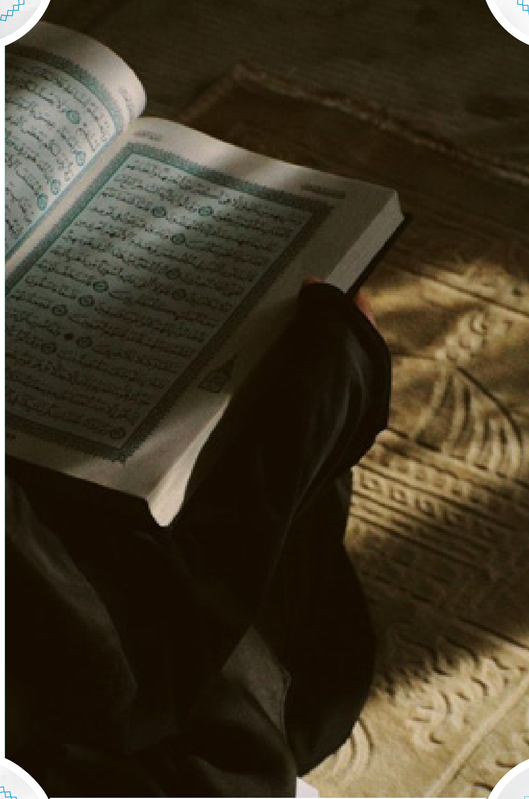
وجاء في أسباب النزول أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج، إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فوجده نائماً، فدق عليه الغلام الباب ودخل، فاستيقظ عمر وجلس، فانكشف منه شيء، فقال: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد الآية قد أنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٨] فخر ساجداً شكراً لله تعالى.

موافقات أخرى للصحابة

وقد وقع لصحابة آخرين موافقات للوحي، ففي صحيح البخاري أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: البينة أو حد في ظهرك. فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة! فجعل النبي ﷺ يقول: البينة وإلا حد في ظهرك. فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦-٩].

وفي حادثة الإفك حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كان لأبي أيوب الأنصاري موافقة مع الوحي. فتحدث الروايات أن أبا أيوب الأنصاري قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك.

فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١]، وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ١٢] أي كما قال أبو أيوب وصاحبته.



وساق ابن سعد في الطبقات أن مصعب بن عمير حمل اللواء يوم أُحد، فقُطعت يده اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ثم قُطعت يده اليسرى، فحنى على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يردد نفس الآية، ثم قتل فسقط اللواء. ولم تكن هذه الآية نزلت يومئذ وإنما نزلت بعد ذلك.

موافقات الصحابيات

وكان للمرأة مشاركة في هذه الموافقات، وما صدر سورة المجادلة إلا موقف من مواقف الموافقات، فقد جاءت خولة بنت ثعلبة تشكو إلى رسول الله ﷺ أن زوجها ظاهر منها، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية، ولم يكن نزل بشأنه حكم في الإسلام، فقال لها الرسول ﷺ: ما أراك إلا حرمت عليه. فأخذت المرأة تجادل رسول الله وتقول له: أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني! اللهم إني أشكو إليك.

فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

ونحاول في دراستنا لهذه الموافقات أن نستلهم العبرة، ونفقه النص، ونتعلم الحكم والأحكام المتعلقة بها.

ونقسمها إلى مباحث:



١. موافقات في جانب التشريع.
٢. موافقات في بيت النبوة.
٣. موافقات في الجهاد.
٤. موافقات في الحكم والآداب.

دلالة الموافقات على النبوة

ومما يجب التنبيه إليه والتأكيد عليه أن لهذه الموافقات مدخلاً في إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ وذلك من وجوه:

أولاً: أن ادعاء النبوة لا يتناسب مع إعلاء شأن إنسان آخر غير صاحب الادعاء.. ولا يعقل أن يجعل لغيره ميزة أو فضلاً، بل يحرص دائماً على أن يكون هو صاحب الذات التي لا تُمس، وصاحب الرأي الذي لا يخالف، وصاحب الاتجاه الذي لا يعارض، وصاحب الكلمة التي لا ترد. لكن مع صدق النبوة والتبليغ عن الله يكون الحكم الله وحده، وما يتنزل شيء إلا بأمره، ولا يزاد في الوحي ولا ينقص منه إلا بعلمه. فهل من الميسور عقلاً أن يتقبل موقف في أسرى بدر أو مع المنافقين، ويسجل ذلك في وثيقة النبوة، إلا إذا سلم بمبدأ الوحي لسيدنا محمد ﷺ، وتحمله لأمانة التبليغ عن ربه؟!

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

ثانياً: هل من اليسير على مدعى النبوة أن يتدخل إنسان -مهما كان- في شئونه الخاصة، ويبدى له ملاحظات، ويظل يحرص على تنفيذها ثم بعد ذلك يسجلها في وثيقة النبوة وينشرها على العالمين؟!

إن عمر بن الخطاب ظل يردد على أسماع النبي ﷺ: إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ ولا تدعه نفسه حتى يقول لإحدى نساء النبي أثناء خروجها لقضاء حاجتها وينادي عليها بصوته المرتفع: قد عرفناك يا سودة! وتارة يقول: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظرى كيف تخرجين؟ ومع ذلك يتنزل الوحي بآية الحجاب موافقاً لرأى عمر. ألا يعقل ذلك إلا إذا كان التنزل بأمر ربك؟!

ثالثاً: أن ادعاء النبوة يكون مصحوباً بكبرياء العظمة وغرور التفكير، بحيث يظل صاحبه مخدوعاً بأنه فوق كل ذي علم ولا تخفى عليه خافية، ولكن ما بالنا نجد سيدنا محمداً ﷺ تأتيه المرأة في شأن زوجها الذي ظاهر منها ويقول لها: ما أراك إلا قد حرمت عليه! ويأتيه الرجل في شأن خيانة زوجة فيقول له: البينة أو حد في ظهرك!

ثم يتجلي الموقف ويتنزل الوحي بحكم جديد هو الظهار في الحال الأولى، واللعان في الحالة الثانية. أليس ذلك دليلاً آخر من دلائل النبوة؟! ولعل قوله تعالى في آيات الظهار: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [المجادلة: ٤] إشارة إلى هذا الاتجاه في الاستدلال على الوحي لسيدنا محمد ﷺ!

رابعاً: لو كانت النبوة بالادعاء، ولو كان الوحي بالتقول، لجاز أن يدعيها أصحاب هذه الموافقات، ويزعموا أن لهم اتصالاً بالملأ الأعلى، وعلاقة بالوحي الإلهي، ويقولوا نحن أيضاً أنبياء يوحى إلينا. لكن الثابت والواقع والذي لا يقبل الشك هو أن هؤلاء الصحابة أحبوا الله ورسوله حباً جماً، وبذلوا النفس والنفيس دفاعاً عن الوحي المحمدي، وجاهدوا في الله حق جهاده.

بل كان عمر رضي الله عنه مع غيرته الشديدة على دين الله يرجع إلى نفسه ويقول: فعجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ! كما في موقفه من الصلاة على ابن أبي.

وما زادتهم هذه الموافقات إلا إيماناً على إيمانهم، وعدوها لوناً من تكريم الله لهم وصدق ولائهم لله ورسوله.. حتى لقد قال عمر: وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولى. فنزلت هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]. رواه مسلم[٣].

٣. هذه الدلالات على النبوة لا أعلم أحداً سبقني بها، والحمد لله.

المثنى بن حارثة الشيباني (٢/١)

القائد الذي جرأ العرب على مهاجمة الإمبراطورية الفارسية ومهّد لفتح العراق



اللواء الركن/ محمود شيت خطاب

رحمه الله*

«هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد.. هذا المثنى بن حارثة الشيباني»

(قيس بن عاصم المنقري)

بنو شيبان

كان بنو شيبان من هامات ربيعة في الجاهلية وهم أبطال معركة ذي قار، وقد امتد بهم المجد في الإسلام فكان منهم بيوتات سجل لها التاريخ صفحات خالدة، وتكرر أمثال يوم (ذي قار) بعد الإسلام بين الفرس وبني شيبان خاصة وبين الفرس وقبائل بني بكر عامة، فكان بنو شيبان طلائع الفتح الإسلامي في العراق، وكان المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان من أشراف شيبان أول قائد عربي تجرأ على مهاجمة الإمبراطورية الفارسية في عقر دارها.

---

* اللواء الركن محمود شيت خطاب، كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة، ط: دار القلم- القاهرة، ص٢٥ وما بعدها.

وفد المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان، على النبي ﷺ سنة تسع، مع وفد قومه، فأسلم. وهناك رواية توهم قدم إسلامه، وهي قدوم النبي ﷺ على جماعة من بني شيبان حين كان يعرض نفسه على القبائل العربية قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، فتلا الرسول ﷺ عليهم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عليكم...﴾ الآية. ثم تلا عليهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ الآية، فقال المثنى: «قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك وأعجبني ما تكلمت به، ولكن علينا عهد من كسرى لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما يكرهه الملوك، فإذا أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي بلاد العرب فعلنا!». فقال النبي ﷺ: «ما أسأتم إذ أفصحتم بالصدق! إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه بجميع جوانبه». ثم نهض النبي ﷺ.

وهذا لا يدل على إسلام المثنى منذ ذلك الوقت كما توهم بعض من ترجم له؛ إذ لو كان قديم الإسلام لكان له ذكر في غزوات الرسول ﷺ نظراً لشجاعته الفائقة ومواهبه النادرة في قيادة الرجال. لقد نال المثنى شرف الصحبة، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد.

جهاده

١ في حروب الردة:

عندما ارتدت أكثر القبائل العربية -ومنهم ربيعة- التي كانت في منطقة (البحرين)، ثبت المثنى على الإسلام مع من ثبت من قومه؛ فكتب العلاء بن الحضرمي إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل -ومنهم المثنى- أن يعينوه على مكافحة المرتدين حتى يعودوا إلى الإسلام؛ فكان المثنى على رأس الذين أعانوا العلاء بن الحضرمي في مهمته الشاقة، إذ ضيق الخناق على المرتدين وأخذ الطريق عليهم؛ ولم يكتفِ بذلك، بل تابع السير شمالاً على شاطىء الخليج العربي ليقاوم دسائس الفرس الذين شجعوا المسلمين في منطقة الخليج العربي على الردة، ويقضي على أنصارهم من القبائل ومن الأبناء.

٢ في الفتح:



أ. التعرض التمهيدي: تقدم المثنى بقواته شمالاً من منطقة البحرين، فقضى على الفرس وعمالهم ممن عاونوا المرتدين في البحرين، حتى وضع يده على (القطيف) و(هجر)، وحتى بلغ في تقدمه مصب دجلة والفرات في الخليج العربي. وتساءل الناس عن هذا القائد الذي يسير من نصر إلى نصر، وتساءل الصديق أبو بكر عنه قائلاً: «من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟». فأجابه قيس بن عاصم المنقري: «هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، هذا المثنى بن حارثة الشيباني».

وحضر المثنى بنفسه إلى المدينة ليتصل اتصالاً شخصياً بأبي بكر الصديق وليسأله أن يؤمره على رجاله ليهاجم بهم الفرس في العراق، قائلاً: «يا خليفة رسول الله، استعملني عن قومي، فإن فيهم إسلاماً، أقاتل بهم أهل فارس، وأكفيك أهل ناحيتي من العدو».

فكتب له أبو بكر الصديق بذلك، فهو الذي أطمع أبا بكر والمسلمين في الفرس وهوّن أمر الفرس عندهم.

واستمر المثنى على مهاجمة أهل السواد، ثم بعث أخاه مسعوداً إلى أبي بكر يسأله المدد، فأمده بخالد بن الوليد المخزومي، على أن يتولى خالد القيادة العليا في العراق وأن يكون المثنى بإمرته؛ فسار خالد من (اليمامة) إلى العراق على رأس عشرة آلاف من الجند، وفي رواية أنه سار من المدينة إلى العراق. فلما وصل العراق كتب إلى المثنى ليأتيه، وبعث إليه بكتاب أبي بكر الذي يأمره فيه بالسمع والطاعة لخالد، فانقض إليه جواداً حتى لحق به، وهكذا تسارع الرجولة إلى الطاعة!

ب. مع خالد: قاتل المثنى تحت لواء خالد بن الوليد في كل معاركه التي خاضها في العراق، تارة تحت قيادة خالد المباشرة، وتارة قائداً مستقلاً، وكان خالد يقدر المثنى غاية التقدير ويعتمد عليه كل الاعتماد.



بعد معركة (الحفير) التي انتصر فيها المسلمون على الفُرس، أمر خالد المثنى أن يطارد المنهزمين من الفرس، فطاردهم المثنى مطاردة حاسمة كأنما يريد ألا يتركهم قبل أن يبلغ (المدائن)، ولكنه توقف عن المطاردة عندما جاءته الأنباء بأن جيشاً عظيماً للفرس يعسكر في (المذار)، فأيقن المثنى أن انفراد قواته بلقاء هذا الجيش الضخم قد يجر عليه الهزيمة، لذلك اختار مكاناً مناسباً بالقرب من (المذار) وعسكر فيه.

وتحشد المسلمون بقيادة خالد في (المذار)، وبدأ القتال بين الطرفين فانهزم الفرس بسفنهم، وحال الماء بين المسلمين ومطاردة الفرس.

وبقي خالد يستعين بالمثنى إذا حضر ويستخلفه إذا غاب، حتى فتح الله على المسلمين الحيرة، والأنبار، فأرسله خالد لمهاجمة (سوق بغداد) فأغار عليه وهزم المدافعين عنه. ولما ورد أمر أبي بكر إلى خالد بالحركة إلى أرض الشام لمقاتلة الروم، وأن يأخذ نصف الناس ويستخلف المثنى على العراق في نصف الناس، أحضر خالد أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه واستأثر بهم لنفسه تاركاً للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له مع الرسول ﷺ صحبة، واستأثر لنفسه أيضاً بمن كان قدم على النبي ﷺ وافداً، تاركاً للمثنى مثل عددهم من أهل القناعة، ثم قسم سائر الجند قسمين؛ فلما رأى المثنى صنع خالد غضب وقال: «والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر! وبالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي ﷺ». فلما رأى خالد ذلك أرضاه.

ودّع المثنى خالداً حين سفره من العراق إلى الشام حتى تخوم البادية، ولما آن لهما أن يفترقا، قال خالد للمثنى: «ارجع رحمك الله إلى سلطانك غير مقصر ولا وان».

ت. القائد العام: كان الموقف العسكري في العراق عند مغادرة خالد له دقيقاً للغاية، فقد كانت قوات المثنى قليلة بالنسبة لقوات الفرس، وكانت خطوط مواصلاته بعيدة بالنسبة لخطوط مواصلات الفرس؛ أما المشاكل الداخلية في بلاد الفرس فقد أصبحت أقل من السابق بعد اتفاق الفرس على رفع (شَهْر بَرَاز ابن أردشير) إلى العرش، فلما اطمأن الأمر له، كان إجلاء المسلمين عن العراق أول ما استقر عليه عزمه! ولعل شعور خالد بن الوليد بدقة الموقف في العراق هو الذي دفعه إلى ترحيل النساء والصبيان والضعفاء من الرجال إلى المدينة قبل سفره إلى الشام.



وبلغ المثنى أنباء تحشد القوات الفارسية لمهاجمة قواته، فسار حتى بلغ أطلال (بابل) وانتظر هناك عشرة آلاف مقاتل فارسي يقودهم (هرمز جاذويه)، وإنه في انتظاره لقاء العدو إذ وصلته رسالة كسرى يقول فيها: إني قد بعثت إليكم جنداً من وحش أهل فارس وإنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم. فكتب إليه المثنى:

«إنما أنت أحد رجلين، إما باغٍ، فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وعند الناس الملوك. وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير».

والتقى الجيشان على أطلال مرتفعات (بابل) وكان يتقدم جيش (هرمز) فيل يفرق بين الصفوف والكراديس ويوقع الرعب فيهم، فأيقن المثنى أن انتصاره رهن بالقضاء على هذا الفيل، فخرج على رأس جماعة من رجاله وهاجموا الفيل وأصابوا منه مقتلاً، فانهزم الفرس بعد قتال شديد، فطاردهم المثنى إلى أبواب المدائن.



ونزلت أنباء الهزيمة بـ(كسرى) نزول الصاعقة، فحُمّ فمات! وبعد موته عاد الاضطراب إلى بلاط فارس، فأراد المثنى انتهاز هذه الفرصة السانحة، فكتب إلى أبي بكر يخبره بانتصاره ويستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبتهم من أهل الردة.

وانتظر ورود النجدات إليه لإكمال فتح العراق، وما كان أبو بكر يمده وجيوش المسلمين كلها في الشام؛ لذلك غادر المثنى العراق إلى المدينة ليخبر أبا بكر خبر المسلمين والفرس، وليستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبته وندمه من أهل الردة، فوجد أبا بكر مريضاً على فراش الموت، ومع ذلك استقبله الخليفة وسمع إليه واقتنع برأيه، وقال: «عليَّ بعمر». وكان قد استخلفه. فلما جاء قال له: «اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مت فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم! وقد رأيتني متوفى رسول الله ﷺ وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله. وبالله لو أنّي أني عن أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا فاضطرمت المدينة ناراً، وإن فتح الله على أمراء أهل الشام، فاردد أصحاب خالد إلى العراق، فإنهم أهله وولاة أمره وحده، وهم أهل الضراوة والجرأة عليهم». ووعد عمر أن ينفذ ذلك حرفياً.

ث. مع أبي عبيد الثقفي: لما أصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر، كان أول ما عمله أن استنفر الناس للانضواء تحت لواء المثنى؛ ولما بايعه الناس وبايعهم، استنفرهم ثلاثة أيام متتالية دون مجيب، ذلك لأن جبهة القتال الفارسية كانت من أكره الجبهات إليهم وأثقلها عليهم، لشدة سلطان الفرس وعزهم وشوكتهم وقهرهم الأمم. فلما كان اليوم الرابع، عاد فندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، فولاه عمر منصب القيادة العامة في العراق. وتكلم المثنى يشجّع الناس ويهون عليهم أمر الفرس، فقال:

«يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبجحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها».

فتوالى المتطوعون حتى بلغوا ألف رجل من أهل المدينة فقط.

وأمر عمر المثنى أن يعود سريعاً إلى العراق وينتظر هناك إلى أن يقدم عليه رجاله، وأمره باستنفار مَن حسُن إسلامه من أهل الردة، فسار المثنى حتى قدم (الحيرة)؛ ووصل أبو عبيد الثقفي بعده بشهر؛ فلما وصلها المثنى علم أن الفرس شُغلوا عن المسلمين أثناء غيبته باختلافهم على العرش، مما أدى إلى نشوب معارك داخلية بين الطامعين بالعرش حتى استقر الملك بيد (بوران) يعاونها وزيرها المحنك رستم، الذي عُرف بجرأته وطموحه، فعمل هذا على إثارة الرأي العام ضد المسلمين، وأرسل جنداً لمصادمة المثنى، وأرسل دعاته لإثارة أهل السواد، فثارت أهل السواد من أعلاه إلى أسفله بالمسلمين، لذلك قرر المثنى أن ينسحب بجيشه من الحيرة حتى لا يؤتى من خلفه! فانسحب منها ونزل (خَفّان)، وأقام فيها حتى قدم عليه أبو عبيد.

لبث أبو عبيد في (خفان) أياماً يستريح هو وأصحابه، فلما علم أن الفرس نزلوا (النمارق)، سار إليهم بقوات المسلمين، وجعل المثنى على الخيل، فاقتتل الطرفان هناك قتالاً شديداً انهزم الفرس على إثره أمام المسلمين، ووقع قائدهم (جابان) أسيراً.



- والتقى المسلمون بالفرس في معركة (السقاطية)، فانتصر المسلمون بعد قتال شديد أيضاً، فأقام أبو عبيد بناحية (كسكر)، وسرح المثنى وغيره من القادة يغيرون على تلك النواحي ويخضعونها للمسلمين.

- والتقى الطرفان في معركة (الجالينوس)، فانهزم الفرس أيضاً، فارتحل أبو عبيد وقدّم المثنى حتى قدِم الحيرة واستقر بها.



ولكن الفرس حشدوا جيشاً عظيما بقيادة (بَهْمَن جاذويه)، فعبر إليه أبو عبيد بجيشه، وقبل نشوب القتال بين الطرفين عين أبو عبيد الأمراء الذين يتولون قيادة المسلمين من بعده إذا استُشهد، وكان من بين الذين عينهم المثنى، فلما استشهد أبو عبيد واستشهد الذين تعاقبوا على اللواء من بعده، تولى المثنى؛ وكانت معنويات الناس حينذاك قد انهارت، فارتد كثير منهم إلى (الجسر) يريدون النجاة بأنفسهم.

حسب وصيته لم يكن المثنى يطمع حينذاك بأكثر من حماية انسحاب المسلمين حتى يقلل من خسائرهم، وبينما كان يفكر في خطة حكيمة لسحب المسلمين بأقل ما يمكن من خسائر، إذ أقدم عبدالله بن مرثد الثقفي على قطع الجسر هاتفاً بأعلى صوته: «أيها الناس: موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو نظفر!».

فضاعف هذا العمل الارتجالي مشاكل قيادة المثنى في هذا الموقف العصيب! وخشي المثنى أن تعم الفوضى ويتفاقم الخطر، فوقف واللواء بيده ينادى: «يا أيها الناس! أنا دونكم، فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرقوا أنفسكم».

فعبر الناس والمثنى يقاتل دونهم ويحول هو ورجاله بين الفرس وبينهم، فأصابت المثنى وهو في موقفه ذاك ضربة رمح جرحته وأثبتت فيه حلقاً من درعه. وبعد عبور المسلمين، عبر المثنى آخر من عبر، وبذلك استطاع المثنى أن يخلّص من الغرق والقتل من بقي من جند المسلمين، إذ عبروا إلى الجانب الآخر والمثنى صامد دونهم لا يزعزعه شيء حتى الجرح البليغ الذي أصابه! وانسحب المثنى بقواته إلى الحيرة، ثم إلى (أُلّيس) جنوباً، ليفلت من مطاردة الفرس.

رحماءُ بينَهم

العلامة محمد الطاهر بن عاشور



رحمه الله*

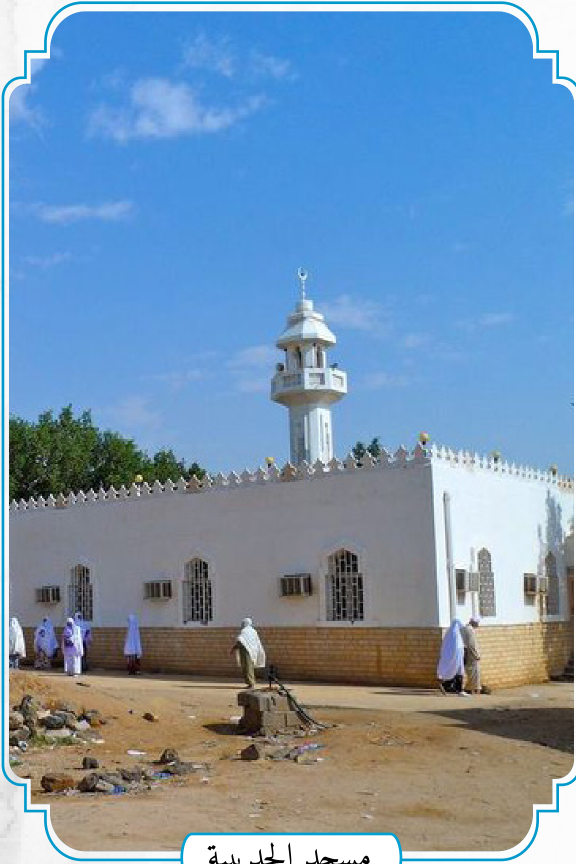
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩]

* الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تفسير سورة الفتح، آية ٢٨، باختصار.

لما بين صدق الرسول ﷺ في رؤياه واطمأنت نفوس المؤمنين أعقب ذلك بتنويه شأن الرسول ﷺ والثناء على المؤمنين الذين معه.

وليس المقصود إفادة أن محمدًا رسول الله وإنما المقصود بيان رسول الله من هو بعد أن أجرى عليه من الأخبار من قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الْفَتْح: ٢٧] إِلَى قَوْلِه: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الْفَتْح: ٢٨] فيعتبر السامع كالمشتاق إلى بيان: من هذا المتحدث عنه بهذه الأخبار؟ فيقال له: محمد رسول الله، أي هو محمد رسول الله. وهذا من العناية والاهتمام بذكر مناقبه ﷺ.

وفي هذا نداء على إبطال جحود المشركين رسالته حين امتنعوا من أن يكتب في صحيفة الصلح «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. وقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت».



مسجد الحديبية

وقوله: (والذين معه) المقصود الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ. ومعنى معه: المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ [المائدة: ١٢] والمراد: أصحابه كلهم لا خصوص أهل الحديبية. وإن كانوا هم المقصود ابتداءً فقد عُرِفوا بصدق ما عاهدوا عليه الله، ولذلك لما انهزم المسلمون يوم حنين قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب ناد يا أصل السمرة.

ويجوز أن يكون (والذين معه) عطفًا على (رسوله) من قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]. والتقدير: وأرسل الذين معه، أي أصحابه على أن المراد بالإرسال ما يشمل الإذن لهم بواسطة الرسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤] الآية. فإن المرسلين إلى أهل أنطاكية كانوا من الحواريين، أمرهم عيسى بنشر الهدى والتوحيد.

فيكون الإرسال البعث له في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ [الإسراء: ٥] وعلى هذا يكون {أرسلنا} في هذه الآية مستعملًا في حقيقته ومجازه.



و(أشداء): جمع شديد، وهو الموصوف بالشدة المعنوية وهي صلابة المعاملة وقساوتها، قال تعالى في وصف النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

الشدة على الكفار: هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح لأن المؤمنين الذين مع النبي ﷺ كانوا هم فئة الحق ونشر الإسلام فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله. والحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وأصحاب النبي ﷺ أقوى المؤمنين إيمانًا من أجل إشراق أنوار النبوة على قلوبهم فلا جرم أن يكونوا أشد على الكفار، فإن بين نفوس الفريقين تمام المضادة، وما كانت كراهيتهم للصلح مع الكفار يوم الحديبية ورغبتهم في قتل أسراهم الذين ثقفوهم يوم الحديبية وعفا عنهم النبي ﷺ، إلا من آثار شدتهم على الكفار، ولم تكن لاحت لهم المصلحة الراجحة على القتال وعلى القتل التي آثرها النبي ﷺ.

ولذلك كان أكثرهم محاورةً في إباء الصلح يومئذ أشد أشدائهم على الكفار، وهو عمر بن الخطاب، وكان أفهمهم للمصلحة التي توخاها النبي ﷺ في إبرام الصلح أبا بكر. وقد قال سهل بن حنيف يوم صفين: أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتنا يوم أبي جندل، ولو نستطيع أن نرد على رسول الله فعله لرددناه. والله ورسوله أعلم.

ثم تكون أحكام الشدة على الكفار من وجوب وندب وإباحة وأحكام صحبتهم ومعاملتهم جاريةً على مختلف الأحوال ولعلماء الإسلام فيها مقال، وقد تقدم كثير من ذلك في سورة آل عمران وفي سورة براءة. والشدة على الكفار اقتبسوها من شدة النبي ﷺ في إقامة الدين قال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

رحماء بينهم

وأما كونهم رحماء بينهم فذلك من رسوخ أُخوّة الإيمان بينهم في نفوسهم. وقد وردت أخبار أُخوّتهم وتراحمهم في مواضع كثيرة من القرآن وكلام الرسول ﷺ.

وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد؛ فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الرؤية. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٥٤].

وفي تعليق (رحماء) مع ظرف (بين) المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف إليه هو تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعًا، قال النبي ﷺ: «تجد المسلمين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى له جميع الجسد بالسهر والحمى».

والخطاب في (تراهم) لغير معين، بل لكل من تتأتى رؤيته إياهم، أي يراهم الرائي.

وإيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعًا سجدًا. وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها وأنهم يتطلبون بذلك رضى الله ورضوانه. وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه.

والسيما: العلامة، وتقدم عند قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [البقرة : ٢٧٣] وهذه سيما خاصة هي من أثر السجود.

واختلف في المراد من السيما التي وصفت بأنها (من أثر السجود) على ثلاثة أنحاء:

الأول: أنها أثر محسوس للسجود، الثاني: أنها من الأثر النفسي للسجود، الثالث: أنها أثر يظهر في وجوههم يوم القيامة. فبالأول فسر مالك بن أنس وعكرمة وأبو العالية. قال مالك: السيما هي ما يتعلق

بجباههم من الأرض عند السجود، مثل ما تعلق بجبهة النبي ﷺ من أثر الطين والماء لما وكف المسجد صبيحة إحدى وعشرين من رمضان. وقال السعيد وعكرمة: الأثر كالغدة يكون في جبهة الرجل.

وليس المراد أنهم يتكلفون حدوث ذلك في وجوههم، ولكنه يحصل من غير قصد بسبب تكرر مباشرة الجبهة للأرض، وبشرات الناس مختلفة في التأثر بذلك؛ فلا حرج على من حصل له ذلك إذا لم يتكلفه ولم يقصد به رياءً. وقال أبو العالية: يسجدون على التراب لا على الأثواب.



وإلى النحو الثاني فسر الأعمش والحسن وعطاء والربيع ومجاهد عن ابن عباس وابن جزء والضحاك، فقال الأعمش: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

وقريب منه عن عطاء والربيع بن سليمان. وقال ابن عباس: هو حسن السمت. وقال مجاهد: هو نور من الخشوع والتواضع. وقال الحسن والضحاك: بياض وصفرة وتهيج يعتري الوجوه من السهر.

وإلى النحو الثالث فسر سعيد بن جبير أيضًا والزهري وابن عباس في رواية العوفي والحسن أيضًا وخالد الحنفي وعطية وشهر بن حوشب: أنها سيما تكون لهم يوم القيامة، وقالوا: هي بياض يكون في الوجه يوم القيامة كالقمر ليلة البدر يجعله الله كرامةً لهم.

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: «النور يوم القيامة».

قيل وسنده حسن. وهو لا يقتضي تعطيل بقية الاحتمالات، إذ كل ذلك من السيما المحمودة ولكن النبي ﷺ ذكر أعلاها.



وضمائر الغيبة في قوله: (تراهم) و(يبتغون) و(سيماهم) في وجوههم عائدة إلى الذين معه على الوجه الأول، وإلى كل من محمد رسول الله والذين معه على الوجه الثاني.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ الإشارة بـ (ذلك) إلى المذكور من صفات الذين مع النبي ﷺ؛ لأن السابق في الذكر بمنزلة الحاضر فيشار إليه بهذا الاعتبار، فاسم الإشارة مبتدأ ومثلهم خبره.

والمثل يطلق على الحالة العجيبة، ويطلق على النظير، أي المشابه، فإن كان هنا محمولًا على الحالة العجيبة فالمعنى: أن الصفات المذكورة هي حالهم الموصوف في «التوراة».

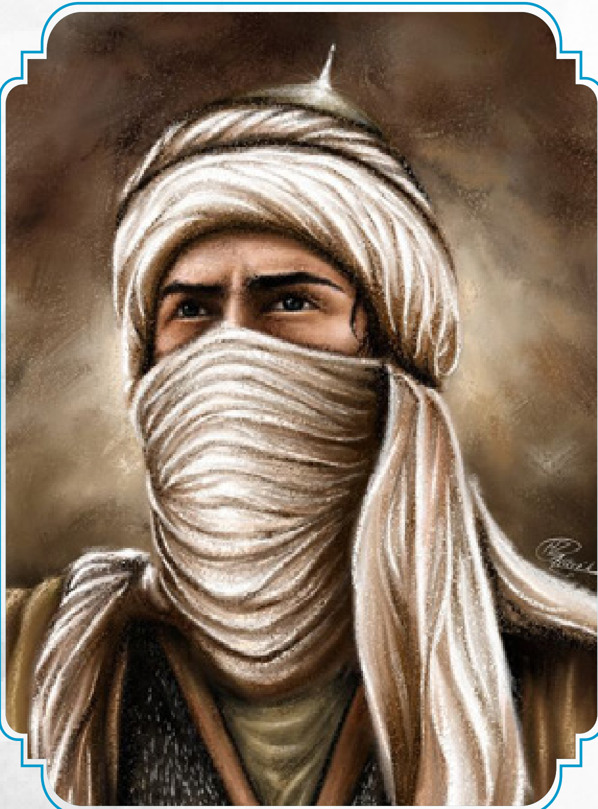
وقوله: (في التوراة) متعلق بـ(مثلهم) أو حال منه. فيحتمل أن في «التوراة» وصف قوم سيأتون ووُصفوا بهذه الصفات، فبين الله بهذه الآية أن الذين مع النبي ﷺ هم المقصود بتلك الصفة العجيبة التي في «التوراة»، أي أن «التوراة» قد جاءت فيها بشارة بمجيء محمد ﷺ ووصف أصحاب النبي ﷺ. والذي وقفنا عليه في «التوراة» مما يصلح لتطبيق هذه الآية هو البشارة الرمزية التي في الإصحاح الثالث والثلاثين من «سفر التثنية» من قول موسى عليه السلام: «جاء الرب من سينا وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم فأحب الشعب جميع قديسيه وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك».

فإن جبل فاران هو جبال الحجاز. وقوله: «فأحب الشعب جميع قديسيه» يشير إليه قوله: ﴿رحمآء بينهم﴾، وقد تقدم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ما ينطبق على هذا من سورة الفتح.

وقوله: «قديسيه» يفيد معنى ﴿تراهم ركعًا سجدًا﴾ ومعنى ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، وقوله في «التوراة» (جالسون عند قدمك) يفيد معنى قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨] . ويكون قوله تعالى (ذلك) إشارةً إلى ما ذكر من الوصف.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾

ابتداء كلام مبتدأ. ويكون الوقف على قوله: في (التوراة) والتشبيه في قوله: (كزرع) خبره، وهو المثل. وهذا هو الظاهر من سياق الآية فيكون مشيرًا إلى نحو قوله في «إنجيل متى» الإصحاح ١٣ فقرة ٣: «هو ذا الزارع قد خرج ليزرع -يعني عيسى عليه السلام- وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته» إلى أن قال: «وسقط الآخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمره بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين. قال فقرةً، ثم قال: «وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر فيصنع بعض مائةً وبعض ستين وآخر ثلاثين»، وهذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم وبأنهم يدعون الناس إلى الدين حتى يكثر المؤمنون كما تنبت الحبة مائة سنبلة وكما تنبت من النواة الشجرة العظيمة.



وفي قوله: (أخرج شطأه) استعارة الإخراج إلى تفرع الفراخ من الحبة لمشابهة التفرع بالخروج ومشابهة الأصل المتفرع عنه بالذي يخرج شيئًا من مكان.

والشطء بهمزة في آخره وسكون الطاء: فراخ الزرع وفروع الحبة. ويقال: أشطأ الزرع، إذا أخرج فروعًا.

و(فآزره) قواه، وهو من المؤازرة بالهمز وهي المعاونة وهو مشتق من اسم الإزار لأنه يشد ظهر المتزر به ويعينه شده على العمل والحمل كذا قيل. والأظهر عندي عكس ذلك وهو أن يكون الإزار مشتقًا اسمه من: آزر، لأن الاشتقاق من الأسماء الجامدة نادر.

لا يصار إلى ادعائه إلا إذا تعين. وصيغة المفاعلة في (آزره) مستعارة لقوة الفعل مثل قولهم: عافاك الله، وقوله تعالى: ﴿وبٰرك فيها﴾ [فصلت: ١٠] .

ومعنى (فاستغلظ) غلظ غلظًا شديدًا في نوعه، فالسين والتاء للمبالغة مثل: استجاب. والضميران المرفوعان في (فاستغلظ) واستوى عائدان إلى الزرع.

والسوق: جمع ساق على غير قياس لأن ساقًا ليس بوصف وهو اسم على زنة فعل بفتحتين. وقراءة الجميع (على سوقه) بالواو بعد الضمة. وساق الزرع والشجرة: الأصل الذي تخرج فيه السنبل والأغصان.

ومعنى هذا التمثيل تشبيه حال بدء المسلمين ونمائهم حتى كثروا وذلك يتضمن تشبيه بدء دين الإسلام ضعيفًا وتقويه يومًا فيومًا حتى استحكم أمره وتغلب على أعدائه. وهذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه بأن يشبه محمد ﷺ بالزارع كما مثل عيسى غلب الإسلام في الإنجيل، ويشبه المؤمنون الأولون بحبات الزرع التي يبذرها في الأرض مثل: أبي بكر وخديجة وعلي وبلال وعمار، والشطء: من أيدوا المسلمين، فإن النبي ﷺ دعا إلى الله وحده وانضم إليه نفر قليل ثم قواه الله بمن ضامن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع. وقوله: (يعجب الزراع) تحسين للمشبه به ليفيد تحسين المشبه.

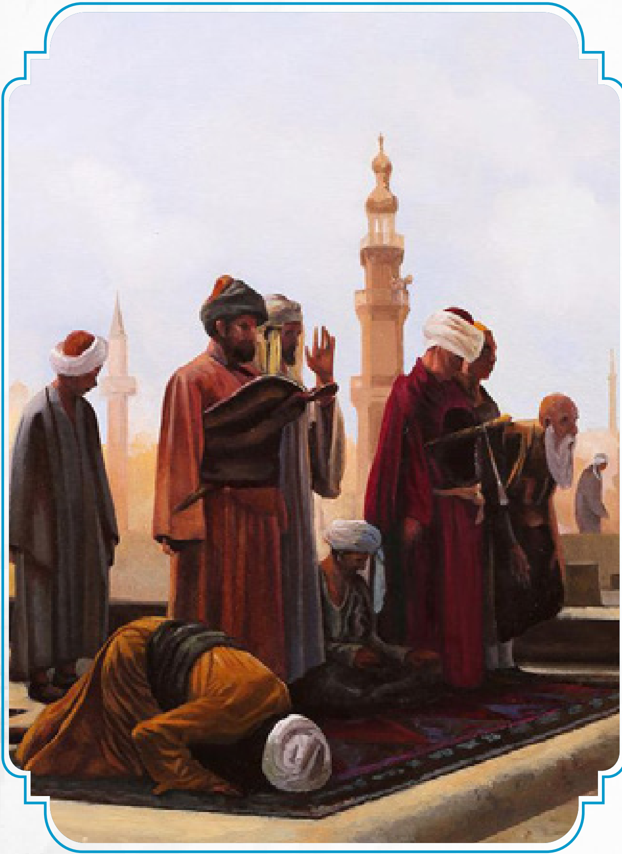


﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليل لما تضمنه تمثيلهم بالزرع الموصوف من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة، لأن كونهم بتلك الحالة من تقدير الله لهم أن يكونوا عليها، فمثل بأنه فعل ذلك ليغيظ بهم الكفار.

قال القرطبي: قال أبو عروة الزبيري: كنا عند مالك بن أنس فذكروا عنده رجلًا ينتقص أصحاب رسول الله فقرأ مالك هذه الآية ﴿محمد رسول ٱللَّه﴾ إلى أن بلغ قوله: ﴿ليغيظ بهم ٱلكفار﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

وقلت: رحم الله مالك بن أنس ورضي عنه ما أدق استنباطه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.



أعقب تنويه شأنهم والثناء عليهم بوعدهم بالجزاء على ما اتصفوا به من الصفات التي لها الأثر المتين في نشر ونصر هذا الدين.

وقوله: (منهم) يجوز أن تكون (من) للبيان كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وهو استعمال كثير، ويجوز إبقاؤه على ظاهر المعنى من التبعيض لأنه وعد لكل من يكون مع النبي ﷺ في الحاضر والمستقبل، فيكون ذكر (من) تحذيرًا وهو لا ينافي المغفرة لجميعهم لأن جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات وأصحاب الرسول ﷺ هم خيرة المؤمنين.

أبو بكر الصديق

أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة

الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم



رحمه الله*

كان [أبو بكر الصديق رضي الله عنه] معظمًا في قريش، محببًا، مؤلفًا، خبيرًا بأنساب العرب وأيامهم، وكانوا يألفونه لمقاصد التجارة ولعلمه وإحسانه، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة أمير من أمراء العرب سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي».

---

* الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، كتاب: أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ط: دار القاسم-الرياض، ص١٥ وما بعدها، باختصار قليل للحواشي.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، وقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟»... الحديث[1] ويأتي بتمامه.

فقد وصفه ابن الدغنة بحضرة أشراف قريش بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ لما نزل عليه الوحي.

ولم يعلم أحد من قريش عاب أبا بكر بعيب ولا نقصه ولا استرذله كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين. ولم يكن له عندهم عيب إلا الإيمان بالله ورسوله[2].



وصفه بالصديق

ثبت له هذا الاسم بالدلائل الكثيرة، وبالتواتر الضروري عند الخاص والعام، ووصفه به النبي ﷺ في الحديث الذي في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد رسول الله ﷺ أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أُحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان[3]».

وفي الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخالف؟ قال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه[4]»[5].

---

١. أخرجه البخاري ك٣٦ ب٥٤.
٢. منهاج السنة جـ٨٨٢/٤، ٩٨٢، ٨٦٢، ١٣.
٣. هذا لفظ البخاري (ك ٢٦ ب٥).
٤. أخرجه الترمذي في تفسير سورة المؤمنون (رقم ٥٢٢٣) وابن ماجه جـ٤٠٤١/٢.
٥. منهاج السنة جـ٢٢٢/٢، جـ١٦/٤، ٢٦، ٤٥٢ باختصار.

الصديق أبلغ من الصادق

الوصف بالصديق أكمل من الوصف بالصادق، فكل صديق صادق، وليس كل صادق صديقًا. وأبو بكر ليست فضيلته في مجرد كونه صادقًا ليس غيره أكثر تحريًا للصدق منه؛ بل في أنه علم ما أخبر به النبي ﷺ جملة وتفصيلاً، وصدق ذلك تصديقًا كاملاً في العلم والقصد والقول والعمل.



وهذا القدر لم يحصل لأبي ذر[٦] ولا غيره؛ لأنه لم يعلم ما أخبر به الرسول ﷺ كما علمه أبو بكر، ولا حصل له من التصديق المفصل ما حصل لأبي بكر، فإن أبا بكر أعرف منه، وأعظم حبًا لله ورسوله منه، وأعظم نصرًا لله ولرسوله منه، وأعظم جهادًا بنفسه وماله منه، إلى غير ذلك من الصفات التي هي كمال الصديقية.

وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون ومن كان أكمل في ذلك فهو أفضل[٧].

أبو بكر أسبق الصحابة إلى الخيرات

هو أول من أسلم : أول من آمن بالرسول باتفاق أهل الأرض أربعة: أول من آمن به من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد بن حارثة. وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر»[٨].

---

٦. الذي جاء في الحديث المروي: "أما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر" (منهاج ٢/١٢٢). قلت: وهذا الحديث أخرجه الترمذي في مناقب أبي ذر برقم (٤٩٧٣).
٧. منهاج السنة (جـ٢/ ١٢٢، ٢٢٢).
٨. غامر: خاصم أي دخل في غمرة الخصومة.

فسلم، وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثًا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ قالوا: لا. فأتى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله: والله أنا كنت أظلم مرتين. فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟» [مرتين]. فما أوذي بعدها.

وفي رواية: «كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضبه أبو بكر، فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه. قال: وغضب النبي ﷺ، وفيه «إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت»[9].

فهذا يبين فيه أنه لم يكذبه قط، وأنه صدقه حين كذبه الناس طرًا، وهذا ظاهر في أنه صدقه قبل أن يصدقه أحد من الناس الذين بلغهم الرسالة. والناس متنازعون في أول من أسلم فقيل: أبو بكر أول من أسلم، فهو أسبق إسلامًا من عليّ، وقيل: إن عليًا أسلم قبله، لكنْ عليّ كان صغيرًا، وإسلام الصبي فيه نزاع بين العلماء.

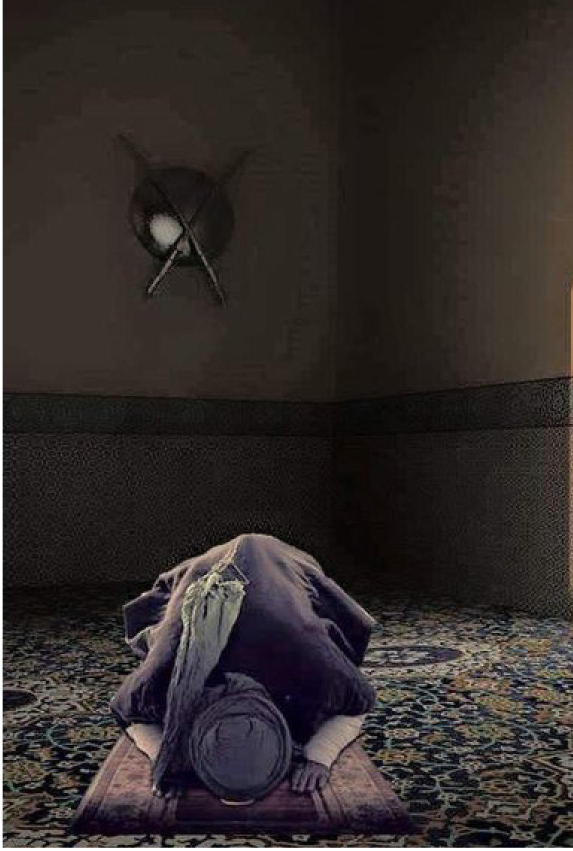


ولا نزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع؛ فيكون هو أكمل سبقًا بالاتفاق، وأسبق على الإطلاق على القول الآخر. وقال الشيخ [ابن تيمية] في موضع آخر: وأما خديجة وعلي وزيد فهؤلاء كانوا من عيال النبي ﷺ وفي بيته. وخديجة عرض عليها أمره لما فاجأه الوحي وصدقته ابتداء قبل أن يؤمر بالتبليغ، وذلك قبل أن يجب الإيمان به، فإنه إنما يجب إذا بلغ الرسالة.

---

٩. والحديث في البخاري (ك٢٦ ب٥، ك٥٦ سورة ٧ ب ٣).

وعليّ يمكن أنه آمن به لما سمعه يخبر خديجة وإن كان علي لم يبلغه. وقوله في حديث عمرو بن عبسة: قلت يا رسول الله: «من معك على هذا الأمر؟ قال: حر وعبد، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به[١٠]» موافق لهذا، أي: اتبعه من المكلفين المدعوين.



وأول من أوذي في الله

أول من أوذي في الله بعد الرسول ﷺ أبو بكر -آذاه الكفار على إيمانه حتى خرج من مكة مهاجرًا إلى أرض الحبشة- روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يَخرُج ولا يُخْرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره

---

١٠. صحيح مسلم ك٦، جـ٢ ٤٩٢.

ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره. ثم بدأ لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد تجاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد عليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل. الحديث"[١١].

ولما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر جعلوا في كل واحد منهما ديته لمن قتله أو أسره"[١٢].



وحثوا التراب على رأس أبي بكر، قال ابن إسحاق:
حدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، قال: لقي أبا بكر سفيه من سفهاء قريش حين خرج من جوار ابن الدغنة وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابًا، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل، فقال له أبو بكر: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك"[١٣].

---

١١. أخرجه البخاري ك٣٦ ب٥٤.
١٢. منهاج السنة ج٣/٦، ج٨٨٢، ٨٦٢، ١٣.
١٣. البداية والنهاية ج٣ ص٥٩.

وأول من دافع عن رسول الله ﷺ

لما أراد المشركون أن يضربوا رسول الله ﷺ أو يقتلوه بمكة دافع عنه الصديق فضربوه، عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم[١٤] وفي حديث أسماء: «فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقال: أدرك صاحبك. قالت: فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا رجع معه[١٥]»[١٦].

وأول من دعا إلى الله

أبو بكر أول من دعا إلى الله، وكان له قدر عند قريش لما فيه من المحاسن، فجعل يدعو الناس إلى الإسلام من وثق به، فأسلم على يديه أكابر أهل الشورى: عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة، وهذا أفضل عمل. وكان يخرج مع النبي ﷺ يدعو معه الكفار إلى الإسلام في المواسم ويعاونه معاونة عظيمة في الدعوة، بخلاف غيره. كان يجاهد الكفار مع الرسول ﷺ قبل الأمر بالقتال بالحجة والبيان والدعوة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ وهذه السورة -سورة الفرقان- مكية نزلت قبل أن يهاجر النبي ﷺ وقبل أن يؤمر بالقتال. فكان أبو بكر أسبق الناس وأكملهم في أنواع الجهاد بالنفس والمال، فإنه جاهد قبل الأمر بالقتال وبعد الأمر بالقتال، منتصبًا للدعوة إلى الإيمان بمكة والمدينة يدعو المشركين ويناظرهم، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر[١٧]». فالصحبة بالنفس، وذات اليد هو المال. فأخبر النبي ﷺ أنه أمن الناس عليه في النفس، والمال[١٨].

---

١٤. البخاري ك ٢٦ ب ٥.
١٥. أخرجه أبو يعلى، انظر فتح الباري جـ٧/ ١٦٩.
١٦. منهاج السنة جـ ٣/٤، جـ٤/٢٥٢، ١٦٦، ١٦٨.
١٧. أخرجه الترمذي في مناقب الصديق رقم (٣٧٣٩).
١٨. منهاج السنة جـ٣/٤، جـ٤/٨، ١٦٦، ٧، ٥٤، ٢٤٥، ٤٣.

وأول من بذل ماله لنصرة الإسلام

روى الإمام أحمد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر». فبكى أبو بكر وقال: «وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله[١٩]». وهذا صريح في اختصاصه بهذه الفضيلة لم يشركه فيها علي ولا غيره.

«وكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه[٢٠]».



وإنفاق أبي بكر لم يكن نفقة على النبي ﷺ في طعامه وكسوته فإن الله أغنى نبيه عن مال الخلق أجمعين؛ بل كان معونة له على إقامة الإيمان. وكان إنفاقه في أول الإسلام لتخليص من آمن والكفار يؤذونه أو يريدون قتله مثل اشترائه سبعة كانوا يعذبون في الله، منهم بلال، حتى قال عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً[٢١]، وإنفاقه على المحتاجين من أهل الإيمان في نصر الإسلام حيث كان أهل الأرض قاطبة أعداء الإسلام، وتلك النفقة ما بقي يمكن مثلها، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته -لما كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد كلام-: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ

---

١٩. المسند جـ٢/٣٥٢.
٢٠. قوله: «وكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه» أخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلاً (تأريخ الخلفاء ص٨٣).
٢١. أبو نعيم في الحلية (٧٤١/١).
٢٢. أخرجه مسلم (ك٤٤ ح١٢٢ ص٧٦٩١) والبخاري ك٢٦ ب٥.

مد أحدهم ولا نصيفه[٢٢]». فإن إطعام الجائع من جنس الصدقة المطلقة التي يمكن كل واحد فعلها إلى يوم القيامة. وقال يعقوب بن سليمان في تأريخه: حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، حدثنا هشام عن أبيه: أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم، فأنفقها في سبيل الله؛ أعتق بلالاً، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عبيس، وقال أبو قحافة له: يا بني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو اعتقت قومًا يمنعونك. فقال: إني أريد ما أريد.



ولما هاجر استصحب ماله فجاء أبو قحافة، وقال لأهله: ذهب أبو بكر بنفسه فهل ترك ماله عندكم أو أخذه؟ قالت أسماء: فقلت: بل تركه، ووضعت في الكوة شيئًا وقلت هذا هو المال لتطيب نفسه أنه ترك ذلك لعياله، ولم يطلب أبو قحافة منه شيئًا. وهذا يدل على غناه. وأصحاب الصفة كانوا فقراء فحث النبيﷺ على طعمتهم فذهب بثلاثة، وانطلق نبي الله بعشرة[٢٣]وكان الصديق ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابة بعيدة، وكان ممن يتكلم في الإفك، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فقال أبو بكر: «بلى والله أحب أن يغفر».

٢٣. أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر. انظر البخاري ك١٦ ب٥٢.



لماذا يبغضون الصحابة؟

الشيخ إحسان إلهي ظهير

رحمه الله*

لم يكتفِ أولئك القوم بسب الصحابة، بل هوت بهم هاوية حتى كفّروا جميع أصحاب رسول الله ﷺ إلا النادر منهم، فهذا هو (الكشي) أحد صناديدهم يروي عن أبي جعفر أنه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة»، فقلت ومن الثلاثة؟ فقال: «المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغِفاري، وسلمان الفارسي... وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٤٤][1]» .

---

* إحسان إلهي ظهير، كتاب: السنة والشيعة، ط٣، (لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٩٧٩م)، ص٥١ وما بعدها.

١. «رجال الكشي» ص١٢ و١٣.

ويُروى عن أبي جعفر أيضاً أنه قال: «المهاجرون والأنصار ذهبوا -وأشار بيده- إلا ثلاثة» [٢].

ويُروى عن موسى بن جعفر -الإمام المعصوم السابع عندهم- أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذي لم ينقضوا عليه؟»، فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر [٣].

والعجب كل العجب! أين ذهب عليّ والحسن والحسين وبقية أهل البيت، وعمار، وحذيفة، وعمرو بن الحمق وغيرهم؟ فانظر ماذا تريد اليهودية من وراء ذلك.



وهذا مع أن علياً رضي الله عنه لم يكفّر حتى مَن حاربه من أهل الشام وغيرهم، فقد قال صراحة في كتابه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل الصفين، الذي رواه إمام الشيعة محمد الرضي في نهج البلاغة:

«وكان بدء أمرنا أنا التقينا القوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا في دم عثمان، ونحن منه براء» [٤].

وأنكر علَى من يسب معاوية رضي الله عنه وعساكره، فقال وقد رواه الرضي أيضاً: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم» [٥].

---

٢. "رجال الكشي" ص١٣.
٣. "رجال الكشي" ص١٥.
٤. نهج البلاغة، ص٤٤٨، ط: بيروت.
٥. نهج البلاغة، ص٣٢٣.

فأين عليّ من ربيبة اليهود الشاتمين أعاظمَ أصحاب رسول الله، اللعانين، المكفرين، الخبثاء، قاتلهم الله أنى يؤفكون!



الصحابة عند أهل السُّنة

ذاك ما يعتقده الشيعة في كبار أصحاب رسول الله ﷺ، الذين بلغوا الرسالة إلى الكون، وحملوها على أكتافهم وأدوها كما سمعوا، وقد فتح الله بهم بلاد الروم والشام، وبلاد هؤلاء الملاعنة، الخبثاء، بلاد يمن، وفارس، ولولاهم لما كان للإسلام دولة وسلطنة كما كانت وصارت، وكانوا مصداق قول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾. [النور: ٥٥]

وقال رسول الله ﷺ فيهم: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»[٦].

وقال ﷺ: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعَد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[٧].

وبيّنَ ﷺ فضلهم وشرفهم حيث قال: «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة»[٨] . وقال: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم»[٩].

---

٦. متفق عليه.
٧. رواه مسلم.
٨. رواه الترمذي.
٩. رواه الترمذي.

وقال ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه: «إن مِن أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله، أبو بكر» [١٠]. وقال ﷺ في عمر رضي الله عنه: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» [١١] . وقال فيهما: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين» [١٢] . وقال ﷺ في عثمان رضي الله عنه: «لكل نبي رفيق ورفيقي [يعني في الجنة] عثمان» [١٣].

وعن عبد المطلب بن ربيعة «أن العباس دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده، فقال ما أغضبك؟ قال يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه ثم قال: أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه» [١٤] .



ودعا ﷺ له ولابنه فقال: «اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً، اللهم احفظه في ولده» [١٥] .

وعنه أنه سئل ﷺ «من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها» [١٦].

وقال ﷺ في خالد بن الوليد رضي الله عنه: «خالد سيف من سيوف الله عز وجل، ونِعم فتى العشيرة» [١٧].

---

١١. رواه الترمذي.

١٢. رواه الترمذي ورواه ابن ماجه، عن عليّ رضي الله عنه.

١٣. رواه الترمذي.

١٤. رواه الترمذي.

١٥. رواه الترمذي.

١٦. متفق عليه.

١٧. رواه أحمد ومثله في الترمذي.

وقال في محمد بن مسلمة: «ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة»، وقال: «لا تضرك الفتنة» [١٨].

وقال في معاوية رضي الله عنه: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدِ به» [١٩]. وقال ﷺ في البراء بن عازب: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن عازب» [٢٠]. وقال ﷺ في عبد الله بن عمر: «إن عبد الله رجل صالح» [٢١].

فهؤلاء هم وغيرهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين مدحهم الله في كتابه، ومدحهم وأثنى عليهم ودعا لهم بالمغفرة الناطق بالوحي، وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ، واحداً واحداً وجماعة ويمدحهم ويثني عليهم كل من سلك مسلكه، واتبع سبيله من المؤمنين غير المنافقين أبناء اليهود والمجوس الذين أكلت قلوبهم البغضاء والشحناء والحسد عليهم لأعمالهم الجبارة في سبيل الله وفي سبيل نشر هذا الدين الميمون المبارك، وكان هذا هو السبب الحقيقي لحنق الكفرة على هؤلاء المجاهدين، العاملين بالكتاب والسنة، وخاصة على أبي بكر، وعمر، وعثمان، الذين قادوا جيوش الظفر، وجهزوا عساكر النصر، وكان سبب احتراق اليهود على المسلمين خاصة أنهم هدموا أساسهم، وقطعوا جذورهم، واستأصلوهم استيصالاً تحت راية النبي ﷺ، حين كان أسلافهم من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة يقطنون المدينة، ومن بعد النبي الكريم ﷺ في زمن عمر الفاروق رضي



١٨. رواه أبو داود.
١٩. رواه الترمذي.
٢٠. رواه الترمذي.
٢١. متفق عليه.

الله عنه، حيث نفذ فيهم وصية رسول الله ﷺ: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب»[٢٢]. وطهر جزيرة العرب من نجاستهم ودسائسهم ولم يترك لأحد من اليهود أن يسكن في الجزيرة طبقاً لأمر رسول الله عليه السلام.

سبب انتشار التشيع في إيران وبغضهم الصحابة

ولما افتتح إيران على يد الفاروق الأعظم، ومزق جموعها، وكسر شوكتها، وهدم ملوكيتها، نقم أهل إيران على الفاروق، ورفقته، وجنوده، لِما جُبلوا على الملوكية وأُشربوا حبّها، فوجد اليهود (فارس) مزرعة خصبة لغرس بذور الفتنة فيها، وكان من الاتفاقات أن ابنة يزدجرد ملك إيران «شهربانو» زُوجت من حسين بن علي رضي الله عنهما بعد ما جاءت مع الأسارى الإيرانيين، فلما دبر اليهود لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتترسوا بعلي رضي الله عنه دون إذن منه ومعرفة، وادعوا الولاية والخلافة لعلي وأولاده، تعاونهم أهل إيران نقمة على الفاروق، ورفقته، وأصحاب الرسول ﷺ الذين فتحوا إيران، وعثمان الذي وسع نطاق الفتوحات الإسلامية، وأقام اعوجاجهم، ونفى بُغاتهم، فأبدى أهل إيران الاستعداد لمعاونة تلك الطائفة اليهودية، والفئة الباغية، وخاصة بعد ما رأوا أن الدم الذي يجري في عروق علي بن الحسين الملقب بزين العابدين وفي أولاده دم إيراني من قِبل أمه «شهربانو» ابنة «يزدجرد» ملك إيران من سلالة الساسانيين، المقدسين عندهم.

فلأجل هذا دخل أكثر أهل فارس في الشيعية لِما يجدون فيها من التسلية بالسباب على الصحابة، وعمر، وعثمان، فاتحي إيران، ومطفئ نار المجوسية فيها، ومن هناك اتفقوا مع اليهودية الماكرة، ولأجل هذا اتحدوا معهم، وسلكوا مسلكهم، ونهجوا منهجهم، فها هو المستشرق الإنكليزي الذي سكن إيران مدة طويلة ودرس تاريخها دراسة وافية، ضافية، يقول صراحة: «من أهم أسباب عداوة أهل إيران للخليفة الراشد، الثاني، عمر، هو أنه فتح العجم، وكسر شوكتهم، غير أنهم (أي أهل إيران) أعطوا لعدائهم صبغة دينية، مذهبية، وليس هذا من الحقيقة بشيء»[٢٣].

---

٢٢. رواه البخاري.
٢٣. "تاريخ أدبيات إيران، للدكتور براون، ص٢١٧ ج١، ط: الهند، بالأردية مترجماً.

ووضح في مقام آخر أكثر من هذا وقال: «ليس عداوة إيران وأهلها لعمر بن الخطاب بأنه غصب حقوق علي وفاطمة؛ بل لأنه فتح إيران وقضى على الأسرة الساسانية». ثم يذكر أبياتاً فارسية لشاعر إيراني ما نصها في اللغة الفارسية:



بشكست عمر بشت هزبران اجم را

برباد فنا داد رك وريشة جم را

اين عربده بر غصب خلافت ز على نيست

با آل عمر كينه قديم است عجم را

يعني أن عمر كسر ظهور أسود العرين المفترسة، واستأصل جذور آل جمشيد (ملك من أعاظم ملوك فارس).

«ليس الجدال على أنه غصب الخلافة من علي، بل أن المسألة قديمة يوم فتح إيران» [٢٤].

ويقول: «إن أهل إيران وجدوا في أولاد علي بن الحسين تسلية وطمأنينة بما كانوا يعرفون أن أم علي بن الحسين هي ابنة ملكهم يزدجرد، فرأوا في أولادها حقوق المُلك قد اجتمعت مع حقوق الدِين، فمن هنا نشأ بينهم علاقة سياسية، ولأجل أنهم (أهل إيران) كانوا يقدسون ملوكهم لاعتقادهم أنهم ما وجدوا المُلك إلا من السماء ومن الله، فازدادوا في التمسك بهم» [٢٥].

الولاية والوصاية

ولقد ذكرنا فيما سبق أن اليهودية دست عقائد جديدة في الإسلام بوساطة ابنها البار بها عبد الله بن سبأ، لبناء مذهب جديد وإنشاء نِحلة جديدة باسم الإسلام ولا يكون للإسلام علاقة بها، فمن تلك العقائد

---

٢٤. فانظر "تاريخ أدبيات إيران" للمستشرق الإنكليزي براون، ص٤٩ ج٤.

٢٥. "تاريخ أدبيات إيران، ص٢١٥ ج١، ط: الهند.

التي جعلتها أصل الأصول هي عقيدة الولاية والوصاية، ولقد أوردنا النصوص عن الشيعة بأن أول من نادى بها هو ابن السوداء، هذا اليهودي، الماكر، مع إنكار الشيعة لعلاقتها به وباليهودية، فإنهم لا يبنون عقائدهم إلا على أقوالهم وآرائهم، فها هي الولاية ما جعلوها أساساً لدينهم إلا كما علّمهم اليهود وقرروها لهم، فيذكر محمد بن يعقوب الكليني، محدثهم الكبير الذي عرض كتابه على الإمام وصدقه إمامهم المزعوم الموهوم! يذكر الكليني هذا «عن فضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: بنى الإسلام على خمس، الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير»[٢٦].

فانظر كيف يختلف القوم مع المسلمين حيث يقول المسلمون بني الإسلام على خمس، أوله شهادة ألّا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ولكن هؤلاء لا يعدون شهادة التوحيد والرسالة شيئاً، ويفضلون الولاية والوصاية على الصلاة والزكاة والصوم والحج كي يجلب القوم إلى دين جديد طبق الخطة المرسومة.

وقد صرح الشيعة بأكثر من هذا حيث قالوا عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بني الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية. قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال الولاية أفضل»[٢٧].

ثم حذفوا الصوم والحج! فقالوا عن الصادق (جعفر) عليه السلام قال: «أثافي الإسلام ثلاثة، الصلاة، والزكاة، والولاية، لا تصح واحدة منها إلا بصاحبتها»[٢٨] .

ومن ثم تطرقوا إلى حذف الجميع وإبقاء الولاية وحدها فرووا عن أبي عبد الله أنه قال: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها» [٢٩].

---

٢٦. "الكافي في الأصول"، باب دعائم الإسلام، ص٢٠ ج٢، ط: إيران.
٢٧. "الكافي في الأصول"، ص١٨ ج٢ ط: إيران.
٢٨. "الكافي في الأصول"، ص١٨ ج٢، ط: إيران.
٢٩. «بصائر الدرجات»، باب٩ ج٢ ط: إيران، سنة ١٢٨٥، وهو أيضاً «كتاب الحجة من الكافي للكليني»، ص٤٣٨ ج١، ط: إيران.

وليس هذا فحسب بل «عن حبة العوفي أنه قال: قال أمير المؤمنين عليّ: «إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، أقربها من أقر، وأنكر من أنكر، أنكرها يونس عليه السلام فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها»[٣٠].



وعن أبي الحسن قال: «ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ووصية علي عليه السلام» [٣١].

وأيضاً عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر يقول: «إن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي وأخذ عن النبيين بولاية علي» [٣٢].

ويروي القمي تحت قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عن أبي عبد الله قال: «ما بعث الله نبياً من ولد آدم فهلم جراً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين علي وهو قوله لتؤمنن به يعني رسول الله «ولتنصرنه» يعني أمير المؤمنين علياً» [٣٣].

فانظر إلى اليهودية كيف تتسلل بين المسلمين وتتسرب إليهم لتشويه عقائدهم.

وأخيراً فلنرجع إلى ما قاله النوبختي والكشي، فيقول النوبختي: «وهو (أي عبد الله بن سبأ) أول من أشهر القول بفرض إمامة عليّ عليه السلام» [٣٤].

والكشي يقول: «وكان (ابن سبأ) أول من أشهر بالقول بفرض إمامة علي» [٣٥].

---

٣٠. "بصائر الدرجات" ص١٠ ج٢ ط: إيران.
٣١. "كتاب الحجة من الكافي" ٤٣٨ ج١ ط: إيران.
٣٢. "بصائر الدرجات" باب٩ ج٢ ط: إيران.
٣٣. تفسير القمي ص ١٠٦ ج١ ط: العراق.
٣٤. "فرق الشيعة" ص٤٤.
٣٥. "رجال الكشي" ١٠١.

صهيب الرومي



د. عبد الرحمن رأفت الباشا

رحمه الله*

"ربح البيع يا أبا يحيى.. ربح البيع"

محمد رسول الله

ومن منا -معشر المسلمين- لا يعرف صهيباً الرومي، ولا يلم بطرف من أخباره ونتف من سيرته؟!

ولكن الذي لا يعرفه الكثير منا أن صهيباً لم يكن رومياً، وإنما كان عربياً خالصاً، نميري[1] الأب تميمي[2] الأم. ولانتساب صهيب إلى الروم قصة ما تزال تعيها ذاكرة التاريخ، وترويها أسفاره. فقبل البعثة بحوالي عقدين من الزمان كان يتولى «الأُبُلَّة»[3] سنان بن مالك النميري، من قِبل كسرى ملك الفرس. وكان أحب أولاده إليه طفل لم يجاوز الخامسة من عمره، دعاه صهيباً.

---

* د. عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابة، ط: دار النفائس-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص١٩٥-٢٠٢.

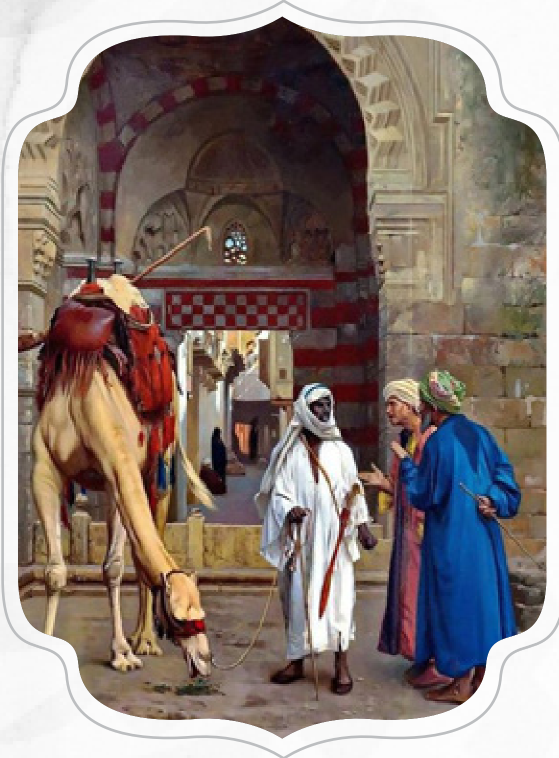
١. نميري الأب: أي إن أباه من بني نمير.

٢. تميمي الأم: أي إن أمه من بني تميم.

٣. الأبلة: مدينة قديمة دخلت في البصرة وأصبحت جزءاً منها.

كان صهيب أزهر الوجه، أحمر الشعر متدفق النشاط ذا عينين تتقدان فطنة ونجابة. وكان إلى ذلك مراحاً، عذب الروح، يدخل السرور على قلب أبيه، وينتزع منه هموم الملك انتزاعاً.

مضت أم صهيب مع ابنها الصغير وطائفة من حشمها وخدمها إلى قرية «الثَّنِيّ» من أرض العراق طلباً للراحة والاستجمام، فأغارت على القرية سرية من سرايا جيش الروم، فقتلت حراسها، ونهبت أموالها، وأسرت ذراريها، فكان في جملة من أسرتهم صهيب.



بيع صهيب في أسواق الرقيق ببلاد الروم، وجعلت تتداوله الأيدي فينتقل من خدمة سيد إلى خدمة آخر، شأنه في ذلك كشأن الآلاف المؤلفة من الأرقاء الذين كانوا يملأون قصور بلاد الروم.

وقد أتاح ذلك لصهيب أن ينفذ إلى أعماق المجتمع الرومي، وأن يقف عليه من داخله، فرأى بعينيه ما يعشش في قصوره من الرذائل والموبقات[٤]، وسمع بأذنيه ما يرتكب فيها من المظالم والمآثم، فكره ذلك المجتمع وازدراه [٥].

وكان يقول في نفسه: إن مجتمع كهذا لا يطهره إلا الطوفان.

وعلى الرغم من أن صهيباً قد نشأ في بلاد الروم، وشب على أرضها وبين أهلها. وعلى الرغم من أنه نسي العربية أو كاد ينساها، فإنه لم يغب عن باله قط أنه عربي من أبناء الصحراء.. ولم تفتر أشواقه لحظة إلى اليوم الذي يتحرر فيه من عبوديته، ويلحق ببني قومه. وقد زاده حنيناً إلى بلاد العرب فوق حنينه أنه سمع كاهناً [٦] من كهنة النصارى يقول لسيد من أسياده: «لقد أطل [٧] زمان يخرج فيه من مكة في جزيرة العرب نبي يصدق رسالة عيسى بن مريم، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور».

---

٤. الموبقات: الفواحش.
٥. ازدراه: احتقره.

ثم أتيحت الفرصة لصهيب فولى هارباً من رق أسياده، ويمم[٨] وجهه شطر مكة أم القرى وموئل العرب، ومبعث النبي المرتقب. ولما ألقى عصاه[٩] فيها أطلق الناس عليه اسم صهيب الرومي للكنة[١٠] لسانه وحمرة شعره. وقد حالف صهيب سيداً من سادات مكة هو عبد الله بن جدعان وطفق يعمل في التجارة، فدرت عليه الخير الوفير والمال الكثير.

غير أن صهيباً لم تنسه تجارته ومكاسبه حديث الكاهن النصراني، فكان كلما مر كلامه بخاطره يسائل نفسه في لهفة: متى يكون ذلك؟! وما هو إلا قليل حتى جاءه الجواب.

ففي ذات يوم عاد صهيب إلى مكة من إحدى رحلاته، فقيل له إن محمد بن عبدالله قد بُعث وقام يدعو الناس إلى الإيمان بالله وحده، ويحضهم على العدل والإحسان، وينهاهم عن الفحشاء والمنكر.

فقال: أليس هو الذي يلقبونه بالأمين؟!

فقيل له: بلى.

فقال: وأين مكانه؟

فقيل له: في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا..

ولكن حذار من أن يراك أحد من قريش، فإن رأوك فعلوا بك.. وفعلوا، وأنت رجل غريب لا عصبة لك تحميك، ولا عشيرة عندك تنصرك.


دار الأرقم

---

٦. الكاهن: رجل الدين عند النصارى.
٧. أطل: اقترب
٨. يمم وجهه شطر مكة: توجه نحو مكة.
٩. ألقى عصاه فيها: نزل فيها واستقر.
١٠. للكنة لسانه: لثقل لسانه.

مضى صهيب إلى دار الأرقم حذراً يتلفت، فلما بلغها وجد عند الباب عمار بن ياسر، وكان يعرفه من قبل، فتردد لحظة ثم دنا منه وقال: ما تريد يا عمار؟

فقال عمار: بل ما تريد أنت؟

فقال صهيب: أردت أن أدخل على هذا الرجل، فأسمع منه ما يقول.

فقال عمار: وأنا أريد ذلك.

فقال صهيب: إذن ندخل معاً على بركة الله.

دخل صهيب بن سنان الرومي وعمار بن ياسر على رسول الله ﷺ واستمعا إلى ما يقول، فأشرق نور الإيمان في صدريهما، وتسابقا في مد أيديهما إليه، وشهدا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأمضيا سحابة [11] يومهما عنده ينهلان من هديه وينعمان بصحبته.

ولما أقبل الليل، وهدأت الحركة، خرجا من عنده تحت جنح الظلام، وقد حمل كل منهما من النور في صدره ما يكفي لإضاءة الدنيا بأسرها.

تحمل صهيب نصيبه من أذى قريش مع بلال وعمار وسمية وخباب وغيرهم من عشرات المؤمنين، وقاسى من نكال قريش ما لو نزل بجبل لهده، فتلقى ذلك كله بنفس مطمئنة صابرة، لأنه كان يعلم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره.

ولما أذن الرسول لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، عزم صهيب على أن يمضي في صحبة الرسول وأبي بكر، لكن قريش شعرت بعزمه على الهجرة فصدته [12] عن غايته، وأقامت عليه الرقباء حتى لا يفلت من أيديهم، ويحمل معه ما درته عليه التجارة من فضة وذهب.

١١. سحابة يومهما: طول يومهما.

ظل صهيب بعد هجرة الرسول وصاحبه يتحين[١٣] الفرص للحاق بهما فلم يفلح، إذ كانت أعين الرقباء ساهرة عليه متيقظة له، فلم يجد سبيلاً غير اللجوء إلى الحيلة.

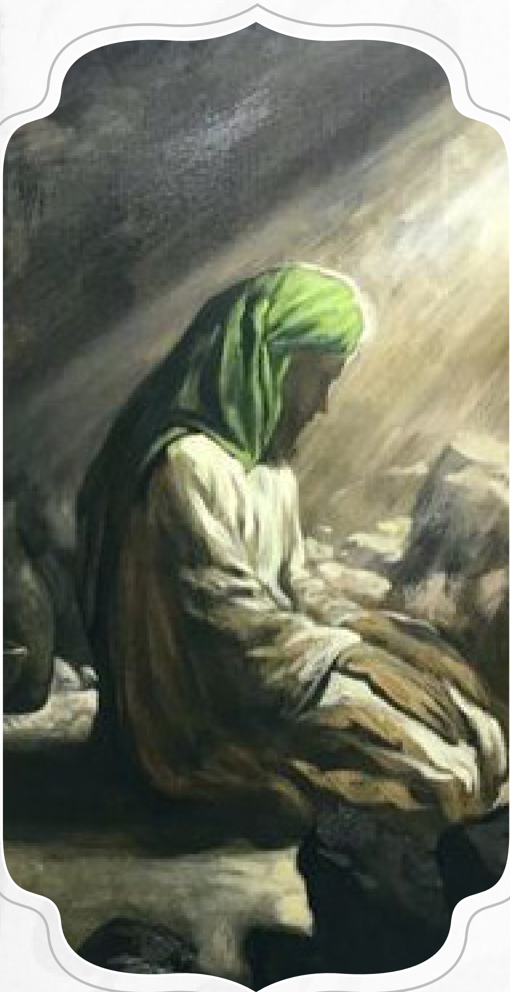
في ذات ليلة باردة أكثر صهيب من الخروج للخلاء كأنه يقضي الحاجة، فكان لا يرجع من قضاء حاجته حتى يعود إليها.

فقال بعض رقبائه لبعض: طيبوا نفساً فإن اللات والعزى شغلاه ببطنه..

ثم أووا إلى مضاجعهم وأسلموا عيونهم إلى الكرى[١٤].

فتسلل صهيب من بينهم، ويمم وجهه شطر المدينة.

لم يمض غير قليل على رحيل صهيب حتى فطن له رقباؤه، فهبوا من نومهم مذعورين، وامتطوا خيولهم السوابق، وأطلقوا أعنتها [١٥] خلفه حتى أدركوه.



فلما أحس بهم، وقف على مكان عال وأخرج سهامه من كنانته[١٦] ووتر[١٧] قوسه وقال: يا معشر قريش، لقد علمتم -والله- أني من أرمى الناس وأحكمهم إصابة.. ووالله لا تصلون إليّ حتى أقتل بكل سهم معي رجلاً منكم. ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي شيء منه. فقال قائل منهم: والله ما ندعك تفوز منا بنفسك وبمالك.. لقد أتيت مكة صعلوكاً [١٨] فقيراً فاغتنيت وبلغت ما بلغت.

---

١٢. صدته: منعته.

١٣. يتحين الفرص: يترقب الفرص.

١٤. الكرى: النوم.

١٥. العنان: الرسن، وجمعه أعنة.

فقال: أرأيتم إن تركت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم.

فدلهم على موضع ماله في بيته في مكة، فمضوا إليه وأخذوه منه، ثم أطلقوا سراحه.

أخذ صهيب يُغِذُّ السير نحو المدينة فاراً بدينه إلى الله، غير آسفٍ على المال الذي أنفق في جنيه زهرة العمر. وكان كلما أدركه الونى[19] وأصابه التعب، استفزه الشوق إلى رسول الله ﷺ فيعود إليه نشاطه، ويواصل سيره.

فلما بلغ قباء[20] رآه الرسول صلوات الله وسلامه عليه مقبلاً، فهش له وبش، وقال:

"ربح البيع يا أبا يحي ربح البيع". وكررها ثلاثاً.

فعلت الفرحة وجه صهيب وقال: والله ما سبقني إليك أحد يا رسول الله وما أخبرك به إلا جبريل.

حقاً لقد ربح البيع..

وصدق وحي السماء..

وشهد عليه جبريل.. حيث نزل في صهيب قول الله جل وعز:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

فطوبى لصهيب بن سنان الرومي، وحسن مآب.

---

١٦. الكنانة: الجعبة التي توضع فيها السهام.
١٧. وتر قوسه: شد وتره: استعداداً للرمي.
١٨. الصعلوك: الضعيف الفقير.
١٩. الونى: التعب.
٢٠. قباء: قرية على بعد ميلين من المدينة.

مساحة إعلانية

سلسلة شرح
كتاب الشفا بتعريف
حقوق المصطفى



الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

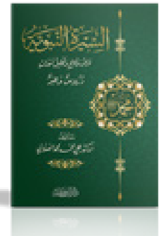

سلسلة شرح كتاب الشفا

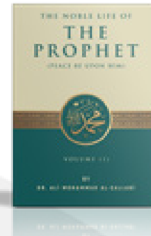
كتاب السيرة النبوية
بعدة لغات



الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

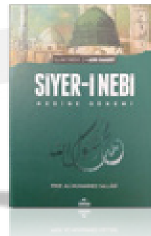

١ ٢

١ ٢ ٣



١ ٢

١ ٢


الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى



يا أمة محمد ١



الشيخ خالد الراشد

فك الله أسره*



يقول الله جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨]

نعم عباد الله، محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، أرسله الله شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً، والشاهد لا يكون إلا عدلاً، والمُبشر لا يأتي إلا بخير، والنذير لا يُنذر إلا من محبة، وخوف على من ينذرهم، يقول الله لنا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

---

* من خطبة الشيخ الأسير المظلوم خالد الراشد، دفاعاً عن رسول الله ﷺ. منشورة على موقع طريق الإسلام، ١٢-٣-٢٠٠٦م، وسننشر بقيتها تباعاً في الأعداد القادمة. رابط إلكتروني: iswy.co/e2326

عباد الله ما قامت هذه المنابر ولا تشرفت إلا يوم أن كان أول من اعتلاها هو محمد بن عبد الله عليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ووالله لا خير في هذه المنابر، ووالله لا خير في هذه المنابر إن لم تدافع اليوم عن أغلى البشر. كان إذا صعد المنبر هزَّ المنبر هزاً، وعلا صوته، واحمَّر وجهه، كأنه منذر جيش حتى يقول الصحابة: أواقع المنبر برسول الله ﷺ!

صعد المنبر وارتقى في سلم العبودية حتى وصل إلى سدرة المنتهى يوم أن أسرى به ربه ليلاً من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل	••	في المسجد الأقصى على قدم
لما رأوك به التفوا بسيدهم	••	كالشهب بالبدر، أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر	••	ومن يفز بحبيب الله يأتمم
جبت السماوات أو ما فوقهنَّ دجاً	••	على منوَّرة دريّة النجم
ركوبة لك من عز ومن شرف	••	لا في الجياد ولا في الأينق الرُسم
مشيئة الخالق الباري وصنعته	••	وقدرة الله فوق الشك والتهم

ما أقسم الله بحياة أحد من البشر إلا بحياة محمد ﷺ فقال الله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، يقول ابن عباس: «ما خلق الله، وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره». إنه محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيده يوم القيامة ولا فخر.

اسمه محمد: مشتق من الحمد أي أحمد الناس لربه، وأبوه عبد الله: من العبودية لله. وكان يعجبه ﷺ أن يُقال: عبد الله ورسوله، وهو الذي أتى بدين العبودية الخالصة. وأمه آمنة: من الأمن، وقد أمنه الله على وحيه ودينه، كما كانت شريعته أمناً وسلاماً. وحاضنته أم أيمن: من اليُمن، والبركة. ومرضعته حليمة، وحليمة من الحلم. وكلها صفات قد اكتملت في شخصيته ﷺ .

ولما كان خاتم النبيين فوجب أن تكون شريعته أكمل الشرائع وأن تتوفر فيه صفات جميع الأنبياء والمرسلين. نُسب إلى الشافعي رحمه الله قوله: «ما أوتي نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا ﷺ نظيرها وأعظم منها».



يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه •• صلى عليك مُنَزَّل القرآن

سبحان من زكَّى سمعك وبصرك واصطفاك، سبحان من جعل أكمل صفات البشر في صفاتك، وأكمل أخلاق البشر في أخلاقك. أنت الذي قال لك ربك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وأنت الذي قلت عن نفسك: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». يقول عنك حسان:

وأحسن منك لم ترى قط عيني •• وأجمل منك لم تلد النساء

خُلقت مبرءاً من كل عيب •• كأنك قد خلقت كما تشاء

اعترف بعظمتك القاصي والداني حتى الذين أنكروا نبوتك لم ينكروا عظمتك، وأنت لست بحاجة إلى شهاداتهم أو تزكياتهم، ولسنا اليوم قد اجتمعنا لنذكر صفاتك، ومحاسنك، وكريم أخلاقك، فإنا لا نشك أبداً في أنك سيد ولد آدم وإنك أنت التقي النقي الطاهر العلم.

اعترف بعظمتك القاصي والداني حتى الذين أنكروا نبوتك لم ينكروا عظمتك، وأنت لست بحاجة إلى شهاداتهم أو تزكياتهم، ولسنا اليوم قد اجتمعنا لنذكر صفاتك، ومحاسنك، وكريم أخلاقك، فإنا لا نشك أبداً في أنك سيد ولد آدم وإنك أنت التقي النقي الطاهر العلم.

عباد الله آن الأوان ليُعرف الصادق من الكاذب، آن الأوان ليُعرف الصادق من الكاذب، آن الأوان أن ننفض أثواب الذل والمهانة منذ عهود طوال ونحن نشرب كأس الذل والمهانة. أنَّت فلسطين، وصاح أقصانا ولا مجيب وتوالت الصيحات والأنات، ولو كانت صخور لاستجابت لتلك الآهات والصيحات، ولا زالت تتتابع علينا المصائب، وتوجه لنا الشتائم والاحتقارات، وممن؟! من أذل وأحقر شعوب الأرض لكن لماذا؟ لأننا لو احترمنا أوامر ربنا لاحترمونا لأننا لو عملنا لكتاب ربنا ما أهانونا لأننا لو سرنا على هدي نبينا ما أخافونا، قال ﷺ مشخصاً مرضنا: «إذا تبايعتم بالعينة [أي بالربا] وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد.. سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم».

يوم أن كان المسلمون أعزة صرخت امرأة: وإسلاماه، فجَيَّش لها المعتصم جيشاً، وسيَّر لها جيوشاً لنصرتها، ويوم أن نقض نقفور -كلب الروم- العهد أرسل له هارون رسالة فحواها: «الخبر ما ترى لا ما تسمع يا كلب الروم!».

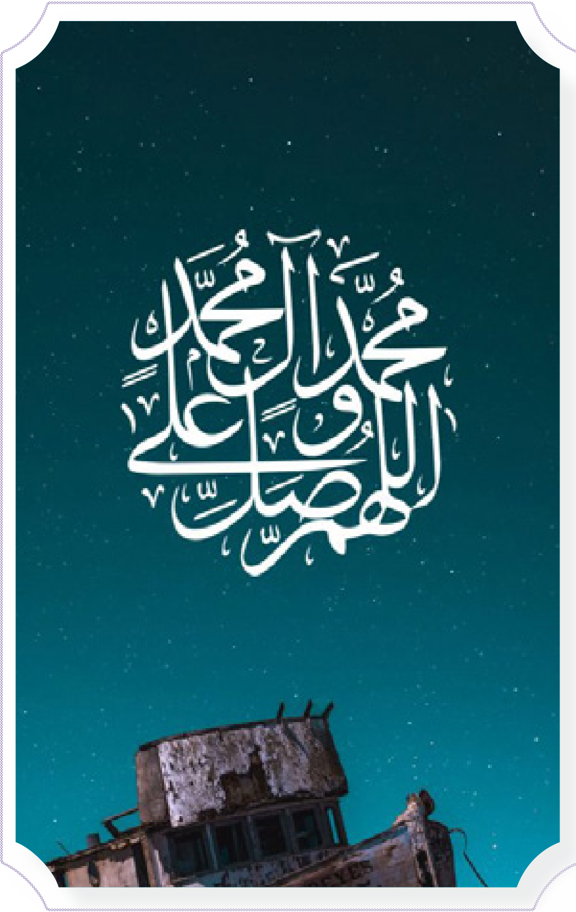


واليوم، يوم أن تشربنا الذل والهوان، ماتت أحاسيسنا وماتت مشاعرنا، يسخر تجار البقر من رسولنا، يسخر تجار البقر من رسولنا ﷺ ، ونحن نتدارس جدوى المقاطعة وأغلى أمانينا أن يقدموا لنا اعتذاراً! أغلى أمانينا أن يقدموا لنا اعتذارا! أي اعتذار! حتى الاعتذار طلبناه على ذل لأننا استمرأنا الهوان.

إنَّ اجتماعنا اليوم -في يوم جمعتنا- ليس لقضية مقاطعة، ليست لقضية مقاطعة لحليب أو لأجبان، القضية قضية نكون أو لا نكون، أسألكم بالله ماذا سيقول علينا التاريخ بعد عقود من الزمان؟! خانوا الله وخانوا الرسول.

محاوري ثلاثة:

- هــذا نبينـا
- وما الذي أغاظهم؟!
- ثم أخيراً: هذا فعل المحبين.



قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، نعم رحمة، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة، عند مسلم من حديث أبي هريرة: قيل يا رسول الله ادعُ على المشركين! قال: «إني لم أُبعث لعَّانا، وإنما بُعثت رحمة». وفي حديث آخر: «أنا رحمة مهداة».

ولم تكن رحمته قاصرة على البشر بل حتى على الحيوانات، عند أبي داوود من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حُمَر -طائر صغير كالعصفور- فأخذناهما، فجاءت الحُمَرَة إلى النبي ﷺ وهي تفرش -تضرب بجناحيها في الأرض- فقال: من فجع هذه بفرخيها؟ قال قلنا: نحن يا رسول الله. قال: «ردوهما رحمة بها». فرددناهما إلى مواضعهما.

الله أكبر! اشتكت له أم الفراخ.. اشتكت له، ورفعت له شكوى الظلم والجور لأنه حامل لواء العدل، وسماه الله: ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

عجباً لهم.. عجباً لهم.. كيف عميت أبصارهم عن تأمل هذه المشاهد وقراءة هذه الأخبار من حياة سيد الأبرار!

يقول زيد بن أرقم: كنت مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء لأعرابي فإذا ظبية [غزالة] مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله إن هذا الأعرابي اصطادني ولي خُشفان في البرية [يعني

ولد الغزال] وقد تعقد اللبن في أخلافي فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية. فقال لها رسول الله ﷺ: «إن تركتك أترجعين؟!» قالت: نعم وإلا عذبني الله عذاب العشار. فأطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تلمَّظ فشدَّها رسول الله ﷺ إلى الخباء فجاء الأعرابي ومعه قربة، فقال رسول الله ﷺ: «أتبيعنيها؟». قال: هي لك يا رسول الله. فأطلقها ﷺ. يقول زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وتقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.



وللخبر طرق أخرى عن أنس وأم سلمة وغيرهما.

قاتلهم الله! صوروه ورسموه في أبشع المناظر والصور! قاتلهم الله! صوروه ورسموه في أبشع المناظر والصور! ما دروا أنه أحلى من القمر.. اسمع أوصاف أغلى وأحلى البشر، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ في ليلة إضْحِيان -ليلة مقمرة لا غيم فيها- وعليه حُلّة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو كان في عيني أحلى من القمر.

يقول كعب رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر».

وتقول الرُبيّع بنت معوذ لمحمد بن عمار بن ياسر، تقول له: «لو رأيته [يعني لو رأيت النبي ﷺ] لقلت الشمس في أبراجها طالعة».

ويقول أنس رضي الله عنه واصفاً حبيبه ﷺ: «كان ربعة من القوم، متوسط الطول، إلى الطول أقرب، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون أمهر».

أي أبيض مشرَّب بحمرة.

ويقول جابر رضي الله عنه: «كنت إذا نظرت إليه ﷺ قلت أكحل العينين، وليس بأكحل، مشَّرب العينين بحمرة».



ويقول علي رضي الله عنه واصفاً إياه ﷺ: «كان في الوجه تدوير، أبيض مُشرَّب، أدعج العينين، أهدب الأشفار».

ما أحلاه! وما أجمله! يقول أهل العلم إن كان يوسف عليه السلام أُعطي نصف الجمال فإنَّ نبينا ﷺ قد أُعطي الجمال كله.

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ واسع الجبين، أزجّ الحواجب [أي مُقوَّس الحواجب] سوابغ في غير قَرَن [أي حاجب تام طويل بلا اتصال بين الحاجبين] وبين الحاجبين عِرْق يُدِرّه الغضب [أي يمتلأ ذلك العرق دماً إذا غضب] وما كان يغضب لنفسه قط».

وما كان يغضب لنفسه قط، إنما يغضب لحدود الله إذا انتُهكت.

يقول الحسن مواصلاً وصفه لجده ﷺ: «كان ﷺ أقنى العِرْنين [أي طويل الأنف] له نور يعلوه، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب».

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين، وكان إذا تكلم رُؤي كالنور بين ثناياه».

وذكر علي رضي الله عنه أنه ﷺ كان ضخم الرأس واللحية. اسمع يا من تحلق لحيتك ولا تريد أن تتشبه بنبيك ﷺ وهو الذي قال أطلقوا اللحى.. أسدلوا اللحى.. أكرموا اللحى.. أوفوا اللحى.. لا تتشبهوا باليهود والنصارى..

وكان شعر رأسه كما قال أنس رضي الله عنه: «بين الشعرين لا سبط ولا جعد، بين أذنيه وعاتقه يضرب منكبيه، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء».

يالله! تأمله الصحابة تأملاً، وملأوا أعينهم منه وما كانوا يشبعون من رؤيته!

دخل ﷺ يوماً على أحد أصحابه فوجده مهموماً مغموماً فقال له: ماذا دهاك، وما الذي أهمك؟! فأخذ المحب يبث أشواقه، فقال: يا رسول الله لقد أهمني أمر عظيم، وهو أننا نكون معك، ونشتاق لك، ويزيد شوقنا لك ونحن بين يديك فكيف إذا مت أو متنا وفارقناك!



كيف إذا كنا من أهل الجنة وكنت أنت من أعلاها منزلة، كيف نراك؟! بل كيف لو كنا من أهل النار وحُرمنا رؤياك؟! فبشره الحبيب ﷺ قائلاً: «المرء مع من أحب».

فهل نحبه حقاً؟! هل نحبه حقاً؟! كما قال لنا ﷺ عن حقيقة الإيمان: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالديه وولده وماله والناس أجمعين».

والله ما طلعت شمس ولا غربت •• إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم •• إلا وأنت حديثي بين جلّاسي

الصحابة أولياء الله

د. خالد أبو شادي



فكّ الله أسره

إن صنائع الزمان وشدائد الأقدار بالناس نازلة، فهي طبيعة دنيانا وكدرها الذي لا يصفو أبداً، فمنا من يتضعضع أمامها، ومنا من يقف كالجبل الأشم والطود الراسخ في وجه العواصف، وليس هذا إلا بطاقة روحية هائلة، يكتسبها المرء عبر رحلة إيمانية طويلة تتوثق فيها صلته بمولاه ورضاه بقضاه.

وما الشدة إلا ريح عاصف تعصف بالقلوب، فمن قوي قلبه بربه ثبت لها، ومن وَهَن قلبه وضعف انصهر في بوتقة البلاء، وتخاذل في مقام التضحية والفداء، ولذا كانت الطاعة كنزاً مخبوءاً وجوهرة مكنونه لا يسطع بريقها إلا في نار المحنة، ولا يُدرك العبد قيمتها إلا عند مواسم الشدة، يميز الله البهرج من الجيد، والخبيث من الطيب. قال عز وجل: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

---

* د. خالد أبو شادي، كتاب: «جنتان: عش جنة الدنيا قبل جنة الآخرة»، (القاهرة: دار طيبة، ٢٠١٣م)، ص٢٠ وما بعدها.

قال الزمخشري شارحاً هذه السنة الربانية: "لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب، بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلَّص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد، وإنفاق الأموال في سبيل الله، فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً بضمائركم، حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال، لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها، فإن ذلك مما استأثر الله به"[١].



إن الناس سواسية حال الأمن والعافية، فإذا نزلت الشدائد والمحن كانوا أنماط وألوان، ومعادن وأشكال! وذلك بحسب سوابق الأعمال وسوالف الأحوال، وهو ما شهد به الحسن البصري بعد ما رآه تجربة ومشاهدة: "استوى الناس في العافية، فإذا نزل البلاء تباينوا"[٢].

اليقين دواء الشدائد

وما هذه السكينة إلا ثمرة يقين راسخ، غرسه فينا نبي كريم هو نبع اليقين، ورعاه حتى نما واستغلظ فاستوى على سوقه، وانظر كيف تمت هذه الرعاية النبوية من خلال مواقف يومية متكررة مع أصحابه، ومن هذه المواقف هذا الموقف التربوي الرائع:

كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيُقْعِده بين يديه، فهَلَكَ فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: "ما لي لا أرى فلانًا؟»

١. الكشاف ١/٤٤٥ - الزمخشري - ط دار الكتاب العربي.
٢. صيد الخاطر ص٢٨٤ - ابن الجوزي - ط دار القلم.

قالوا: يا رسول الله، بُنيُّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن بُنيِّه، فأخبره أنه هلك، فعزّاه عليه، ثم قال: "يا فلان، أيما كان أحب إليك: أن تمتَّع به عمرك، أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وَجَدْتَه قد سبقك إليه يفتحه لك؟"

قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة، فيَفْتَحُها لي هو أَحَبُّ إلي.

قال: "فذاك لك"[٣].

يا لروعة الغرس ويا روعة الغارس!

وعلى هذا تربى هذا الجيل..

على أن ما ينقص هنا يزيد هناك..

وما يؤلم اليوم يُريح غداً..

وما يوحِش دنيا يؤنِس آخرة...

ومن لم يكن هذا الميزان نصب عينيه تحطّم عند الأعاصير، واستبطأ الفرج، وفقد إيمانه عند الشدائد.

وقد عقد الصحابي الجليل المبتلى عمار بن ياسر رضي الله عنه المقارنة بين المؤمن والفاجر في أثر البلاء عليهما، وكيف أبصر كل منهما المحنة، ثم قال: "إنَّ المسلم يُبتلى ببلاء فتُحَطُّ عنه ذنوبه كما يُحَطُّ الورق من الشَّجر، وإن كان الكافر - أو قال: الفاجر - يُبتلى ببلاء فمَثَلُه مَثَل بعير أُطلِق فلم يَدْرِ لم أُطلِق، وعُقِل فلم يَدْرِ لم عُقِل"[٤].

فالفاجر لا يعلم لم نزلت به الشدة، ولا لم رُفِعت فبصيرته مطموسة، وتحليله للأحداث مشوش، ومقاييسه دنيوية لا يربطها بالآخرة نَسَب بعكس العبد المؤمن.

---

٣. صحيح النسائي عن قرة بن إياس كما في صحيح الجامع الصغير رقم: ٧٩٦٣.

واليته فوالاك، وآثرته فقدَّمك على غيرك وأعطاك.. وأين موالاتك له من موالاته لك.. وأين عطاؤك من عطائه! بل ما أعطيت إلا بإذنه، وما أقبلت إلا بأمره، ثم كافأك، وغمر إحسانه إحسانك، وقابل مشيك بهرولة.

في البخاري "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه"[٥].

والحديث معجز، وكيف لا وقد ضمّ على قلة حروفه وجبة إيمانية متكاملة، فقد عرض لأسمى المقامات وأعلى الدرجات "مقام الولاية"، ثم شرح الطريق المؤدي إليها بكل بلاغة ووضوح من "التمسك بالفرائض" و"المحافظة على النوافل"، ثم عرض إلى المكافأة العظمى التي يكافئ الله بها هذا العبد وهي محبة الله له، ووضع لك في الطريق علامات وصول واضحة إلى تلك المحبة و"هي صلاح جوارحك" ، ثم ختم بالخاتمة الأروع والجائزة الأحلى: "إجابة دعائك".



فمن هم هؤلاء الصفوة الخلَّص؟!

والزمرة الكُمَّل؟!

وما تعريف الولي؟!

الولي له معنيان:

الأول : الوَلْيُ بسكون اللام هو القُرْب والدنو، وهو القرب المكاني أو المعنوي كما نقول أن الوالي ولي البلدة،

---

٤. شعب الإيمان ٣١١/١٢.

٥. رواه البخاري عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ١٧٨٢ والسلسلة الصحيحة رقم: ١٦٤٠.

وكما نطلق وليَّ اليتيم على الذي يلي أمره، وولي المرأة الذي يلي عقد نكاحها، كما نُطلِق الولي أيضاً على الوالد والحليف والصِّهر والجار، وهي معان متقاربة.

فالولي هو القريب من الله لتقربه إليه بامتثال أمره و اجتناب نهيه، والمقرَّب من الملك هو من يطيعه في كل ما يريد ولو كان على حساب رفاهيته وراحته، فيؤثر هوى سيده على هواه، لذا استحق أن يكون من النخبة المقرَّبة والحاشية المدللة، ولذا جعل الله تعالى أهل القرآن هم أهله وخاصته! فإنه لما قربهم اختصهم بالفضل العظيم بما لم ينله غيرهم، فكانوا كأهله.



الثاني: الولي هو الناصر والكافي، ووليُّ الشيء: الذي يحفظه ويمنع عنه الضرر كقول ربنا: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فالله يتولى أمر هذه الطائفة، فلا يكلهم إلى نفوسهم لحظة، وإذا تولاك ربك فهل يستطيع أحد أن ينال منك؟! خاصة عند الشدة ونزول الكرب، وهو ما أيقن به عمر بن عبد العزيز لما دخل عليه مسلمة بن عبد الملك في مرض موته فقال: يا أمير المؤمنين لو وصيت إلى وإلى نظرائي من أهل بيتك، فقال عمر: "أسندوني، ثم قال: أما قولك لو أوصيت بهم، فإن وصيي ووليي فيهم الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، بَنِيَّ أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مُكِبٌّ على المعاصي، فإني لم أكن أقويه على معاصي الله"[٦].

وكان لهذه الطائفة كرامة لا تعدلها كرامة: أن الله تعالى يشن الحرب من أجلهم، ويعادي من عاداهم! وليس ذلك فحسب بل و..

يغضب الله لغضبهم !

هذا بلال وصهيب وسلمان-رضي الله عنهم- يمر بهم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ومعه أبو سفيان، وكان أبو سفيان كافراً لم يُسلِم بعد[٧]، وذلك أثناء الهدنة بعد صلح الحديبية، وكأنهم لما رأوه ذكروا ما

فعله بهم أيام مكة من حرب وإيذاء، فقالوا مخاطبينه: ما أخذَتْ سيوف المسلمين من عنق عدو الله مأخذها "أي: لم تستوف حقها منك"، فغضب أبو بكر -رضي الله عنه-، وكان يتألف أبا سفيان طمعاً في إسلامه، ولا يريد تنفيره بإغلاظ القول له، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم! ثم أتى النبي ﷺ شاكياً، فأجابه النبي ﷺ: **"يا أبا بَكْرٍ، لئن كنتَ أغْضَبتهم لقد أَغْضَبْتَ ربَّكَ".**

وما يبلغ البشر حتى يغضب الله لغضب واحد منهم؟! وماذا يساوون في ملك الله؟! وماذا يمثلون في مخلوقاته؟! ذرة أو جزءاً من ذرة!

لكنها والله الكرامة التي كرَّم الله بها أولياءه ممن آثر طاعته واختار مرضاته، وعندها أتاهم أبو بكر مسترضياً قائلاً:

يا إخوتاه.. أغضبتكم؟! قالوا: "لا.. يغفر الله لك يا أُخَيَّ"[٨].

وقد يكون هؤلاء الأولياء لا مظهر لهم ولا هيئة، ولا مال ولا جاه، ولعل أحدهم يكون مغموراً بين الناس لا يعرفه أحد، لكنه مشهور في الملأ الأعلى، وقد يخفُّ في موازين الخلق لكنه راجح عند الله، وانظر إلى أفضل الأولياء وأقربهم وأعلاهم شأناً عند ربهم كما في حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:

"أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ (خفيف الظهر من العيال والمال)، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر، وكان غامضاً في الناس لا يُشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً، فصبر على ذلك"، ثم نقد بيده، فقال: "عُجِّلَتْ مَنِيَّتُه، قلَّتْ بواكيه (من يبكي عليه إذا مات)، قَلَّ تُراثه (ما تركه ميراثاً لورثته)"[٩].

---

٦. صفة الصفوة ١/٣٧١ - ط دار الحديث.

٧. الفائدة الأولى: الفضل لمن صدق لا لمن سبق، فهذا أبوسفيان يسلم ويحسن إسلامه حتى يقول على فراش موته لمن حوله: "لا تبكوا عليَّ، فإني لم أتنطف (أتلطخ) بخطيئة منذ أسلمت"، سير أعلام النبلاء ١/٢٠٤، ومثله في الصدق عكرمة بن أبي جهل الذي أراق النبي دمه ولو تعلق بأستار الكعبة، فلما أسلم قال عنه ابن كثير العجب العجاب لا يُعرف له ذنب بعد ما أسلم". البداية والنهاية ٧/١١.

٨. صحيح: رواه مسلم عن عائذ بن عمرو كما في مشكاة المصابيح رقم: ٦٢١٤ .

٩. حسن رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي أمامة كما في مشكاة المصابيح رقم: ٥١٨٩.



تنويه النبي ﷺ بمكانة الخلفاء الراشدين



د. محمد موسى الشريف

فكّ الله أسره

كان النبي ﷺ ينوه بمكانة أصحابه الخلفاء الأربعة من بين سائر أصحابه، ومن ذلك جملة أحاديث منها:

عن العرباض بن سارية[1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسُنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضوا عليها بالنواجذه»[2].

وهذا من أعظم التنويه بهم وإعلاء شأنهم وذكرهم رضي الله عنهم .

---

* د. محمد موسى الشريف، كتاب: علاقة الخلفاء الراشدين بالنبي ﷺ، ط: مركز إبصار-القاهرة، ط١، ٢٠١٦م، ص٢٧-٣٨.

١.العرباض بن سارية السلمي من أعيان أهل الصفة سكن حمص.

٢. أخرجه أبو داود والترمذي: ٥/٤٣، وابن ماجه: ١ / ١٥، وهو حديث مشهور صحيح.

مكانة الشيخين

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذَين من بعدي أبي بكر وعمر[٣]».

وعن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[٤]».

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: يا رسول الله ﷺ أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ قال أبي: كأنها تعني الموت .قال: «فإن لم تجديني فأتي أبا بكر[٥]».

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار[٦]».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس. فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق[٧]».

---

٣. أخرجه الإمام الترمذي في سننه: ٥/٥٦٩، وابن ماجه في سننه: ١/٣٧، والحاكم في «المستدرك والإمام أحمد في مسنده، والحديث صحيح صححه جمع من الأئمة.

٤. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام: باب الاستخلاف، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٥. رواه البخاري، كتاب المناقب: باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٦. رواه الترمذي وحسنه: كتاب المناقب: باب في مناقب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما: ٥/٥٧٢.

٧. أخرجه الإمام البيهقي في «دلائل النبوة»: ٢/٣٦١، وجود الإمام السيوطي في «تاريخ الخلفاء».



وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنت جالسًا عند النبي إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر[٨]، فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثًا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر»[٩].

حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله: والله أنا كنت أظلم، مرتين. فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» مرتين، فما أوذي بعدها[١٠].

ومما يوضح مكانة عمر رضي الله عنه ومزيته على سائر الصحابة رضي الله عنهم -سوى الصديق الأكبر- ما جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال النبي: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ﷺ .ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيهًا يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك [١١]».

---

٨. أي دخل في غمرة الخصومة، أي جاء مخاصماً.

٩. أي تذهب نضارته من الغضب. وشرح هذه الكلمة والتي قبلها من الفتح لابن حجر: ٢٥/٧.

١٠. أخرجه البخاري، كتاب المناقب: باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً».

١١. رواه البخاري، كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص رضي الله عنه، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه.



وعن أبي ذر رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، أو قلبه ولسانه [١٢]».

عن ابن عمر رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا على بئر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر فأخذ أبو بكر الدلو فنزع ذَنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف فغفر الله له، ثم أخذها عمر بن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غربًا فلم أر عبقرياً من الناس يَفْرِي فَرْيَهُ، حتى ضرب الناس بعَطَنٍ [١٣]".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليّ وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرض عليّ عمر وعليه قميص اجتره» .قالوا: فما أولته يا رسول الله ﷺ؟ قال: الدين [١٤]».

وعن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم شربت -يعني اللبن- حتى أنظر إلى الري يجري بين ظفري أو في أظفاري ثم ناولت عمر». قالوا: فما أولتها يا رسول الله ﷺ؟ قال: العلم [١٥]».

---

١٢. رواه الترمذي، والإمام أحمد، وأبو داود، والبزار وقال الإمام الهيثمي: «رجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن أبي الجهم وهو ثقة»: (مجمع الزوائد): ١٤٤٢١: ٦٦/٩٠.

١٣. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام.

الغرب: الدلو الكبير والعبقري الرجل الشديد. ويفري بسكون الفاء: ينزع والعطن المراد به الاستقرار.

١٤. رواه البخاري، كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي.

١٥. المصدر السابق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإن يكُ في أمتي أحد فإنه عمر[١٦]». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر[١٧]».

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب [١٨]».

ومما يوضح مكانة الشيخين بين سائر الصحابة رضي الله عنهم ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني إنما خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله! تعجباً وفزعاً: أبقرة تتكلم؟ فقال رسول الله ﷺ: فإني أومن به وأبو بكر وعمر[١٩]».



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا راعٍ في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاةً فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري». فقال الناس: سبحان الله! فقال رسول الله ﷺ: «فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر[٢٠]».

١٦.المصدر السابق. قال الحافظ ابن حجر: (محدثون) بفتح الدال جمع محدث، واختلف في تأويله فقيل: ملهَم، قاله الأكثر.

١٧. رواه البخاري وقد سبقت الإشارة إلى المعنى في كلام الحافظ ابن حجر في الحديث السابق.

١٨. رواه أحمد والترمذي، وقال الترمذي حسن صحيح غريب، وصححه ابن حبان، وهو حديث صحيح.

١٩. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب استعمال البقرة للحرث.

٢٠. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ذو النورين

ومما يدل على مكانة عثمان رضي الله عنه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن الله وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه... فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة[٢١]».



وروى الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافًا -أو قال اختلافا وفتنة-. فقال قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك[٢٢]».

عليّ بن أبي طالب

ومما يوضح مكانة علي رضي الله عنه بين سائر الصحابة أنه لما خرج النبي ﷺ إلى تبوك خلّف على المدينة علياً رضي الله عنه فجاءه فقال: تخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي[٢٣]».

أي كما استخلف موسى أخاه هارون -صلوات ربي وسلامه عليهما- لما ذهب للمناجاة الإلهية.

---

٢١. جوّد إسناد الإمام أحمد الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: أحداث سنة ٥٣هـ.

٢٢. صحيح البخاري -كتاب المغازي- باب غزوة تبوك.

٢٣. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان.

ومما يدل على مكانة عليّ رضي الله عنه ومزيته بين الصحابة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ جعل حب علي رضي الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق، فقد قال رضي الله عنه: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ، ألّا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق[٢٣]».

تمتين صلته ﷺ بالخلفاء الراشدين

من المعلوم أن من أعظم وسائل تمتين الصلة هو المصاهرة، وقد فعل ذلك ﷺ على وجوه متعددة، فقد تزوج بعائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها. وتزوج بحفصة بنت الفاروق رضي الله عنها وعن أبيها، بل لما طلقها لأمر ارتآه - بأبي هو وأمي- أمره الله تعالى بمراجعتها لأنها زوجه في الجنة [٢٤].

وزوّج بنتيه رقية ثم أم كلثوم لعثمان رضي الله عنه. وزوّج بنته الأثيرة فاطمة بعلي رضي الله عنهما. وهذه المصاهرة لهي أبلغ رد على المنحرفين عن الصحابة رضي الله عنهم إذ ما كان الله ليختار لنبيه إلا أحسن النساء: ﴿يٰنساۤءَ ٱلنبي لستن كأحدٌ من ٱلنساۤء﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وما كان الله ليختار لمصاهرته إلا أحسن الرجال رضي الله عنهم.

وقد سبق ذكر صور من متانة الصلة منها اتخاذه ﷺ أبا بكر الصديق أخاً، ومصاحبته له في الغار.

ومن الصور الدالة على متانة الصلة ما قاله علي ﷺ: كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[٢٥]».

ومنها قوله لعلي رضي الله عنه -وقد سقته آنفًا-: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

وهذه النصوص من أعظم ما يدل على متانة صلة النبي ﷺ بهم رضي الله عنهم.

---

٢٤. قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: أخرجه أبو يعلى ٣/٩٥٧، والحاكم في المستدرك: ٢/١٩٧، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الإمام الذهبي.

٢٥. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

عمر بن الخطاب درة الإسلام



د. صفوت حجازي

فك الله أسره*

الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما أدراك ما الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، درة الإسلام والمسلمين، الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه الترمذي من حديث ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام».

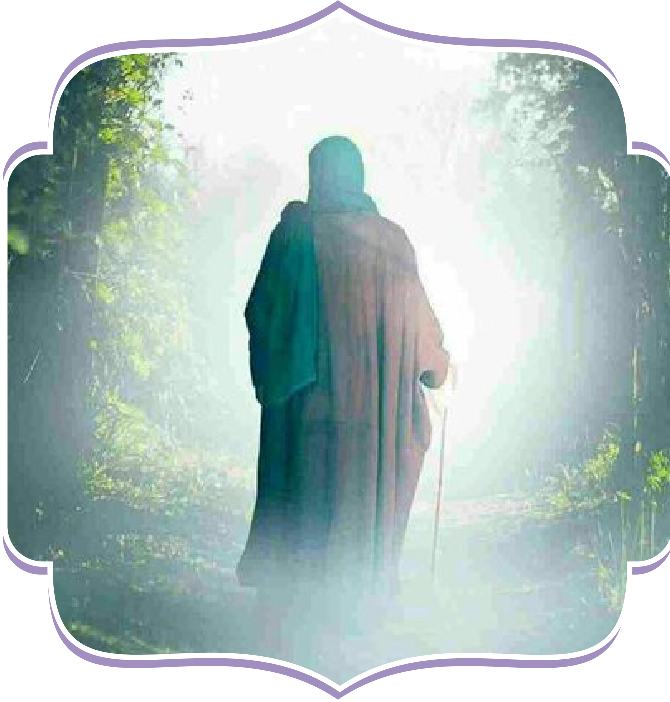
وقد أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب، وزمان عزة الإسلام هو زمان عمر بن الخطاب، وهو الزمان الذي أعز الله فيه فلسطين بدخول الإسلام، وهو الزمان الذي أعز الله فيه مصر وأفريقيا بدخول الإسلام، وهو الزمان الذي أعز فيه الله العراق وفارس بدخول الإسلام.



* من برنامج زمان العزة، الجزء الثالث، الحلقة الأولى: عمر بن الخطاب، موقع يوتيوب، رابط إلكتروني: bit.ly/3gB2O83 .

كل رجل وكل امرأة ممن يعيشون في هذا الزمان، كل منَّا يتمنى الأماني والأمنيات، فيقول هل من الممكن أن يعز الله بي الإسلام، لكل رجل ولكل امرأة أقول من المطلوب أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، هل بالفعل يمكن أن يجعلني الله سبباً في عزة الإسلام؟

مَنْ من بيننا يسأل الله أن يكون مثل عمر بن الخطاب؟ وهل يجوز أن نسأل الله أن نكون مثل عمر بن الخطاب أو أبي بكر أو عثمان أو علي بن أبي طالب أو الزبير رضي الله عنهم أجمعين أو أي شخصية أخرى من العظماء الذين أعز الله بهم الإسلام؟



نعم، يجوز، بل أنا أرى أنه من الواجب على كل واحدٍ منَّا أن يرى كيف يمكنه أن يعز هذا الدين كما أعزه هؤلاء.

هذه المقدمة لابد منها؛ لكي نعيش زمان العزة، وإن لم نعشه بأيدينا وبأفعالنا فلنعشه بقلوبنا وبوجداننا وبأرواحنا وقلوبنا وبعيوننا.. نعشه بأمانينا، فالأماني تسير مع الأمل.. الأمل بعودة العزة والمجد لهذا الدين، فهل في السنة الأخيرة رأينا عزًا أو مجدًا؟ نعم، كان صمود إخواننا في غزة، فتأكدوا أن الله عز وجل سيتم نوره وسيتم العز والمجد، هيا بنا نعيش زمان العزة، زمان عزة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.

كل واحد منَّا يجب أن يعيش هذا الدعاء «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»، وهي رواية أحمد، «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب» ليس فيها عمرو بن هشام بل انفردت بعمر بن الخطاب، وكان ترتيبه الأربعين فيمن أسلموا، حيث قال: «دخلتُ دار بن الأرقم وكنت مُتمًا للأربعين مسلمًا».

لقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في جاهليته رجلًا وفي إسلامه أيضًا كان رجلًا، حديث رسول الله ﷺ: «خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا»، أبوه كان الخطاب بن عمرو بن نفيل، وكان شديداً شدة قوية جدًا على عمر بن الخطاب الذي كان يرعى الإبل، وهناك

فرق كبير بين راعي الغنم وراعي الإبل، فما من نبي إلا ورعى الغنم، فمن حِكَم العرب الشهيرة أنك تجد ليناً ورقةً في راعى الغنم، بينما تجد شدة وقوة في راعي الإبل؛ لأن راعي الغنم ممسك بعصا صغيرة يشير بها إلى الغنم، بينما راعي الإبل ممسك بـ «عصا كبيرة»؛ لكي يستطيع أن يتعامل مع الإبل، وعمر بن الخطاب كان راعي إبل فيه الشدة والقوة والحدة والغلظة، وكان أبوه الخطاب كما قلنا يشتد عليه شدة شديدة؛ ولذلك نشأ سيدنا عمر هذه النشأة القوية الشديدة.



هل تمنى أحد منَّا أن يرى سيدنا عمر في المنام؟ سيدنا عمر من يراه في المنام يرى عزة الإسلام ويرى مجد الإسلام ويستشعر حقيقة دعوة النبي «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»، ولا أعلم أحدًا رأى سيدنا عمر بن الخطاب إلا ورآه في موقف عزة وموقف جد وموقف قوة.

حكى لي أحد الرجال وأظنه وأحسبه من الصادقين وقد كان من قادة الجيش المصري في حرب ٧٣، يروي لي أنه يوم فجر ستة أكتوبر والمعركة على وشك البدء، الساعة اثنين، ولم يأته النوم بينما كل رفاقه قد ناموا، فقال: استيقظنا على صلاة الفجر وخمسة أو ستة منَّا يقصّون رؤية واحدة لسيدنا عمر بن الخطاب يرفع علم مصر وفي يده بندقية ويمر على مياه القناة». القائد قال لي إنه كان على يقين أننا سننتصر.

وقال: «كنا أول كتيبة عبرت القناة، وأثناء عبوري القناة كنت أرى أن سيدنا عمر هو الذي يعبر وليس أنا».

فسيدنا عمر بن الخطاب كل من يراه في المنام يراه في موقف عزة وقوة.

ترى كيف كان شكل وهيئة عمر بن الخطاب؟

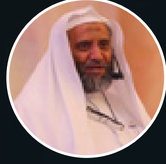


كان أبيض اللون مختلطاً بحمرة، فقد كان أمهقًا، كان فيه بياض باحمرار، وكان أصلع شديد الصلع، عظيم اليدين عظيم الرجلين مفتول العضلات، إذا رأيته بين الناس كان بائنًا «طويلاً جدًا» إذا رأيته بين الناس حسبته راكبًا، وقد كان طويل العنق لا تظهر لديه تفاحة آدم، واسع الفم وواسع العينين، وكان له شارب طويل السبلة «السبلة هي طرف الشارب» وليست سبلته ملتحمة بلحيته، وكان إذا فكر أمسك بسبلة شاربه أو أطراف شاربه.

كان إذا تكلم أسمع وإذا أعطى أغنى وإذا ضرب أوجع، كثيرون هم من يتخيلون أن سيدنا عمر كان غزير الشعر لكنه كان أصلعًا شديد الصلع، وكان طويل الساقين حتى أنه كان إذا ركب حمارًا أو بغلًا كانت رجلاه تخطان في الأرض.

هذه هيئة سيدنا عمر وهذا شكل سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه.

مجتمع الصحابة والنزول القرآني



د. علي بادحدح

فك الله أسره*

إنها صور عجيبة فريدة تبين لنا كيف كان القرآن هو الحياة وكانت الحياة هي القرآن في مجتمعات المسلمين في القرون الفاضلة.

فهذا عمر بن الخطاب -كما في صحيح البخاري- يقول: «كنت أنا وجار لي من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، فيرد إلى المسجد وأرد إلى السوق ليستمع ما ينزل من الوحي على رسول الله ﷺ، فإذا كان آخر اليوم أخبرني بما نزل من القرآن». فإذا كان اليوم الثاني غير كل موقعه.



* دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح، دروس صوتية للشيخ علي بادحدح، فرغها موقع الشبكة الإسلامية، درس: القرآن والحياة.

هذه الصورة تبين لنا أن الصحابة قسموا الحياة نصفين: فنصف جعلوه للعمل وكسب الرزق والقوت بما ييسر الله عز وجل. ونصف جعلوه لئلا يفوتهم من القرآن ومن سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام شيء أبداً. وكان بالإمكان أن يُجعل ذلك على تراخٍ وتهاون، وأن يسأل عنه عندما يفرغ من عمله إذا وجد الفرصة المناسبة، أو لا يسأل حتى يأتي من يخبره.



لقد كان أثر ذلك المنهج من الرسول ﷺ منعكساً، فجعلوا الأهمية العظمى لتلقي هذا القرآن وفهمه وتدبره وحمله والعمل به.

وننظر إلى صورة أخرى في البخاري -أيضاً- عن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار».

والأشعريون قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن، وكانوا إذا جاءوا في الليل يعرف النبي ﷺ أن القوم قد وصلوا، وأنهم نزلوا في شرق المدينة أو غربها، فلقد كان القرآن هو الذي يُحيا به الليل، وتُعمر به المحاريب، وتلهج به الألسنة، وتُستجاش به مشاعر القلوب والنفوس.

وهناك صورة أخرى، فسعد رضي الله عنه عندما فتح الله عليهم في القادسية أرسل إلى عمر يبشره بالفتح، وكان في ضمن كتابه أنه قال: «ذهب من الناس فلان وفلان [يعني استشهدوا] ممن لا تعلمهم [أي: ولا تعرفهم ولا تعرف أسماءهم لأنهم مجهولون مغمورون لكنهم مؤمنون مجاهدون] الله بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن كدوي النحل في الليل».

ومتى هذا؟ إنه في السفر والحرب، فكيف إذا كانوا في الحضر وإذا كانوا في الأمن؟! فكان هذا دأبهم وهم في المعارك على صهوات الجياد، وهم في الخوف في حراسة الثغور كان هذا دأبهم، كما عند البخاري من

غير تسمية الأسماء، وعند غيره بتسمية عباد بن بشر ورفيق له أنهما كانا مكلفين بحماية المسلمين في ليلة من الليالي، فنام أحدهما وقام الآخر يصلي ما شاء الله له أن يصلي ويقرأ ما شاء الله له أن يقرأ، فأصابه سهم وهو واقف يصلي، فنزعه ومضى في صلاته، فأصابه الثاني فنزعه ومضى في صلاته، فأصابه الثالث فقال لصاحبه لما أنكر عليه أنه لم يوقظه: لولا خشية أن يؤتى المسلمون من قبلي ما أيقظتك كراهة أن أقطع صلاتي.



كان هذا هو وصف القوم وارتباطهم بكتاب الله عز وجل، وكان معلوماً في صفوف الجيوش الإسلامية وراياتها أن في كل فرقة وكتيبة قارئاً، وإذا التحمت الصفوف وحمي الوطيس كان القارئ يقرأ سورة (الأنفال) يهيج بها على الجهاد، ويقوي بها العزائم، ويثبت بها الأقدام، ويشوق إلى لقاء الله عز وجل، فكانت القلوب حينئذ تطير من صدورها وتهفوا إلى لقاء ربها، وتتوق إلى نعيم الله عز وجل.

ولذلك كان هذا القرآن يتقدم مسيرة الأمة في كل منحىً من مناحي حياتها، وعندما نرى الشرف والمنزلة والتقديم والتعظيم يأتينا أمر ابن عباس ذلك الغلام الصغير والفتى الذي لم يكن عمره عندما توفي رسول الله ﷺ يتجاوز الخامسة عشرة، وفي بعض الروايات أنه كان ابن ثلاث عشرة سنة، وفي بعضها أنه كان ابن عشر سنين.

ذلك الشاب كان يدخل مجلس عمر رضي الله عنه، وكان مجلس عمر يضم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار من البدريين المتقدمين في الإسلام، فقال بعض الأنصار: يا أمير المؤمنين! إن عندنا من أبنائنا من هو في مثل سن هذا، فلماذا تقدمه عليهم؟ فسكت عمر حتى إذا ضمه المجلس سأل فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:١ - ٣] فأجاب بعض الصحابة وقال: بشر الله رسوله بالفتح وبدخول الناس في دين الله أفواجاً، ومنَّ عليه بذلك، وأمره أن يسبح إزاء هذه النعمة.

وكلٌّ قال قولاً.

فالتفتَ إلى ابن عباس الغلام الصغير فقال: ما تقول فيها يا ابن عباس؟!

قال: هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه. يعني أنه قد أراد الله عز وجل أن يشير إلى رسوله أنه قد اقترب أجله وانتقاله إلى ربه ومولاه، لأنه إذا بلغ الرسالة وفتح الله عليه ودخل الناس في دين الله أفواجاً فقد أكمل ما عليه، وأوشك أن ينتقل إلى خالقه ومولاه.

فقال عمر: «والله! ما أعلم منها إلا ما قلت يا ابن عباس!».

وبهذا شرفه عمر وقدمه، فكان أهل القرآن هم المقدمون والمستشارون والمعظمون في مجتمع المسلمين.

اهتمام الصحابة بعدم الاختلاف في القرآن

وانظر كذلك إلى مواقف أخرى كثيرة تبين لنا هذا الشأن، فقد كان القرآن هو الذي يلفت الأنظار، وهو الذي يحدد المواقف، ففي صحيح الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه -وعمر له قصص كثيرة فيها مزية الغيرة لدين الله والاهتمام بشرع الله وبدين الله- قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان، فإذا هو يقرأها على غير ما أقرأنيها رسول الله ﷺ.

وتأمل في كون الذي أقرأه إياها هو الرسول ﷺ؛ فإنه كان هو الذي يعلم الصحابة القرآن، إنها مهمة رسول الله ﷺ.



قال: سمعته فإذا هو يقرأها على غير ما أقرأنيها رسول الله ﷺ - وكان هشام يصلي ويقرأ- قال عمر: «فكدت أساوره في الصلاة». يعني: كاد أن يقطع عليه صلاته لينكر عليه هذه القراءة؛ لأنه تلقاها عن الرسول وعنده منها علم وبينة.

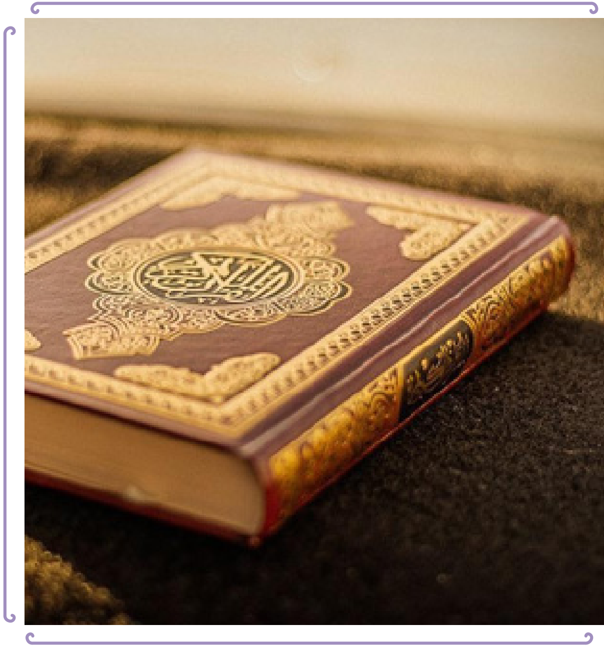
قال: «فانتظرته حتى سلّم، فلببته بردائه وانطلقت به أجرّه إلى رسول الله ﷺ».

هكذا كان عمر، وهكذا كان حرصهم على القرآن ألّا يُحرف وألّا يُغير وألّا يُدخل فيه ولا يزاد عليه، وفي هذا قصص عجيبة وأمثلة كثيرة، قال: «فلببته بردائه وأخذته إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتني».

فقال الرسول ﷺ: «أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام». فقرأ هشام، فقال النبي ﷺ: «هكذا أُنزلت».

وقرأ عمر فقال ﷺ: «هكذا أُنزلت، إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف».

اعتناء الصحابة رضي الله عنهم بجمع القرآن الكريم



ولعل من أعظم المواقف في حياة مجتمع الصحابة وارتباطهم بكتاب الله عز وجل ذلك الموقف الذي كان لعمر رضي الله عنه.

في الصحيحين أن عمر قال لأبي بكر رضي الله عنه: «إني رأيت القتل قد استحر بالقُراء يوم اليمامة، وإني أخشى أن يستحر بهم القتل في المواطن فيضيع كتاب الله عز وجل، وإني أرى أن تجمع القرآن».

هذا هو الاهتمام، وهذه هي المهمات، وهذه هي المشاغل، وهذا هو الذي كان يحرك العقول ويشغلها، فقال أبو بكر: «كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ».

كان عند القوم منهج، هو أن لا مخالفة لرسول الله ﷺ ، فما زال عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر للذي شرح له صدر عمر.

فانظر بعد ذلك للمهمات والشرف! فبعث أبو بكر إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال له: «إنك كنت تكتب القرآن على عهد رسول الله ﷺ، فانظر ما كان من القرآن فاجمعه».

ومن الذي يحدثه؟ أبو بكر خليفة المسلمين ومعه عمر وزيره الأول، وأبو بكر وعمر هما صاحبا الحكم هنا، وهما صاحبا السابقة في الإسلام، وهما صاحبا الفضل، وهما صاحبا العلم، ومع ذلك لم يمنع هذا كله زيد بن ثابت أن يؤكد لنا المنهج الذي رُبي عليه الصحابة، وذلك أنه قال: «كيف تفعلا شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ»؟!

أي: وإن كنتما الحاكمين والسابقين والفاضلين والمقدمين فإن هناك ما هو أفضل وأكثر تقديماً، وهو نهج رسول الله ﷺ.

فما زالا به حتى شرح الله صدره للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فماذا قال بعد ذلك؟ قال: «فوالله! لو كلفني نقل جبل من مكانه لكان أهون عليَّ».

أي أنه رأى أنها مهمة عظمى، وأنها قضية خطيرة؛ لأن فيها أنه يُحفظ على الأمة كتاب الله عز وجل، فماذا صنع؟ وكيف نفذ؟ قال: «فجعلت أتتبع القرآن في الجلود واللخاف والعظام».

وكان لا يقبل آية إلا بشاهدين أنها كُتبت بأمر رسول الله ﷺ، قال: «وآخر سورة التوبة ما وجدتها إلا عند أبي خزيمة وحده».

وبعض الناس يظنون أنه لم يكن أحد يحفظها إلا هو، وليس كذلك، إنما المقصود أنه لم يكن أحد شاهد كتابتها بأمر الرسول إلا هو، ومن عظمة وإعجاز ونبوة الرسول ﷺ أنه كان قد جعل شهادة أبي خزيمة بشاهدة رجلين، فكان هذا مغنياً، فما وجدها إلا عنده، ثم وجد أن الرسول قد حكم بأن شهادته بشهادتين قبل أن يموت ﷺ.

وكذلك ما جاء في شأن حذيفة لما كانوا في بلاد الأرمن في جهة المشرق يفتحون البلاد، ورأى الناس يختلفون في القراءة، خاصة الداخلين في دين الله حديثاً، فرجع إلى عثمان وقال: «أدرك أمة محمد قبل أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى».

فجمع عثمان رضي الله عنه الأمة على مصحف واحد، وفرق منه في الأمصار سبع أو تسع نسخ، فاجتمعت الأمة، وكانت كلها متوافرة جهودها منشغلة أفكارها بكتاب الله عز وجل.

قدْر الصحابة



د. عمر بن عبد الله المقبل*

فكّ الله أسره

إن من الأصول المقررة في الشرع المطهر، ومن سمات أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم للصحابة الأخيار، وحملة الشريعة الأتقياء الأبرار، والذب عن حرماتهم وأعراضهم. فلولاهم ما وصلنا الدين كاملاً -وأصله القرآن- غضاً طرياً كأنما أنزل اليوم.

إنهم خير الناس للناس، وأفضل تابع لخير متبوع ﷺ، هم الذين فتحوا البلاد بالسنان، والقلوب بالإيمان. لم يعرف تاريخ البشر أعظم من تاريخهم، ولا رجالاً -بعد الأنبياء- أفضل منهم. هم الذين استرخصوا في سبيل نصر الدين أنفسهم وأموالهم، وفارقوا أهلهم وأوطانهم، حين ضن غيرهم بالنفس والمال، واستثقلوا مفارقة الأهل والولدان، فلا كان ولا يكون مثلهم والله!

* د. عمر بن عبد الله المقبل، مواعظ الصحابة، دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ص١٣ وما بعدها.

هم الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونشر دينه، فأخرجوا من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور أهل الطغيان إلى عدل الإسلام، وعلى أيديهم سقطت عروش الكفر، وتحطمت شعائر الإلحاد، وذلت رقاب الجبابرة والطغاة، ودانت لهم الممالك.



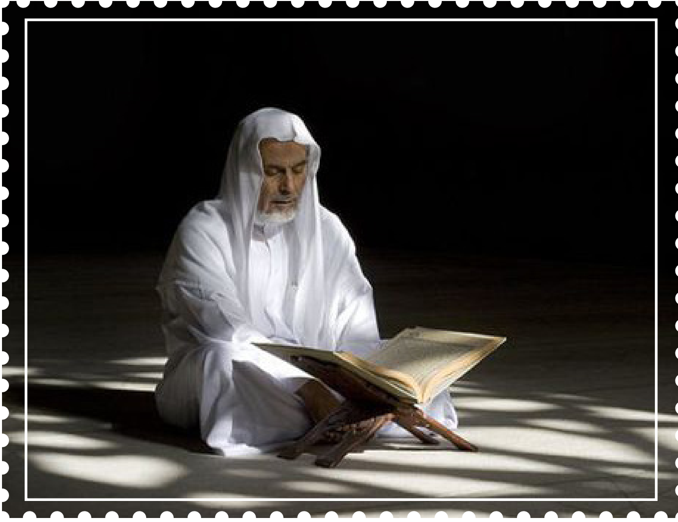
إنهم أصحاب محمد ﷺ: «الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سن وما شرع، وحكم وقضى وندب، وأمر ونهى وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ... ونفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة، فقال -عز ذكره- في محكم كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»[1].

إنهم أصحاب محمد ﷺ الذين «سمحت نفوسهم رضي الله عنهم بالنفس والمال والولد والأهل والدار، ففارقوا الأوطان، وهاجروا الإخوان، وقتلوا الآباء والإخوان، وبذلوا النفوس صابرين، وأنفقوا الأموال محتسبين، وناصبوا من ناوأهم متوكلين، فأثروا رضاء الله على الغناء، والذل على العز، والغربة على الوطن، هم المهاجرون: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] حقاً، ثم إخوانهم من الأنصار، أهل المواساة والإيثار، أعز قبائل العرب جاراً، واتخذ الرسول ﷺ دارهم أمناً وقراراً، الأعفاء الصُّبُر، والأصدقاء الزهر، الذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

---

١. الجرح والتعديل (١/٧).

فمن انطوت سريرته على محبتهم، ودان الله تعالى بتفضيلهم ومودتهم، وتبرأ ممن أضمر بغضهم؛ فهو الفائز بالمدح الذي مدحهم الله تعالى به فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



إنهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين تولى الله شرح صدورهم؛ فأنزل السكينة على قلوبهم، وبشرهم برضوانه ورحمته فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة: ٢١].

جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله، فجعلهم مثلا للكتابين؛ لأهل التوراة والإنجيل، خير الأمم أمته، وخير القرون قرنه، يرفع الله من أقدارهم إذ أمر الرسول ﷺ بمشاورتهم؛ لما علم من صدقهم، وصحة إيمانهم، وخالص مودتهم، ووفور عقلهم، ونبالة رأيهم، وكمال نصيحتهم، وتبين أمانتهم، رضي الله عنهم أجمعين[٢].

«فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة، من الإيمان والإسلام، والقرآن والعلم، والمعارف والعبادات، ودخول الجنة والنجاة من النار،وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله عز وجل فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة رضوان الله عليهم، عليه فضل إلى يوم القيامة»[٣].

وقد قال تعالى -في فضلهم ومآلهم-: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

٢. الإمامة والرد على الرافضة (٢٠٩ - ٢١١).
٣. منهاج السنة (٦/٣٧٦).

وقال تعالى في مدحهم -ومن أصدق من الله قيلاً وحديثاً؟!- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

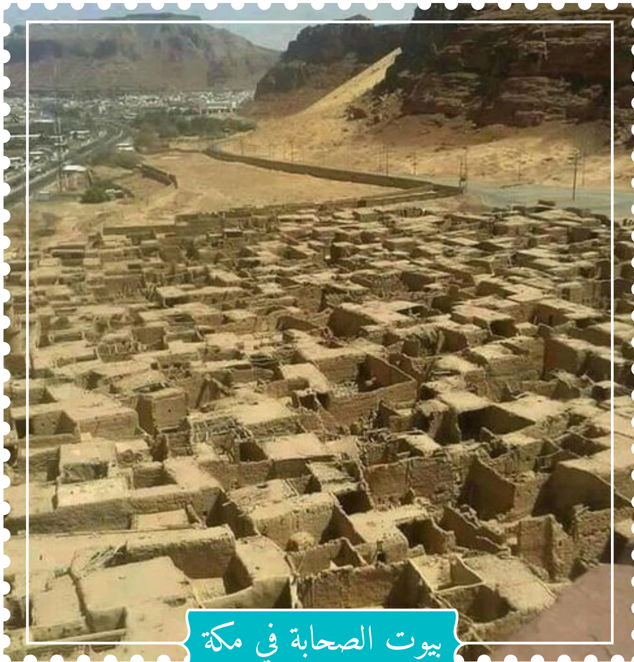
وبعد هذا الثناء السماوي، تأتي التزكية من أصدق الخلق كلاماً، وأفصحهم بياناً ﷺ، في أحاديث كثيرة، جمعها بعض العلماء في مجلدات كبار.. فماذا عسى الإنسان أن يقول في هذا المقام؟!

لقد زكاهم -بأبي هو وأمي- بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٤].

وزكاهم ﷺ فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتي أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[٥].

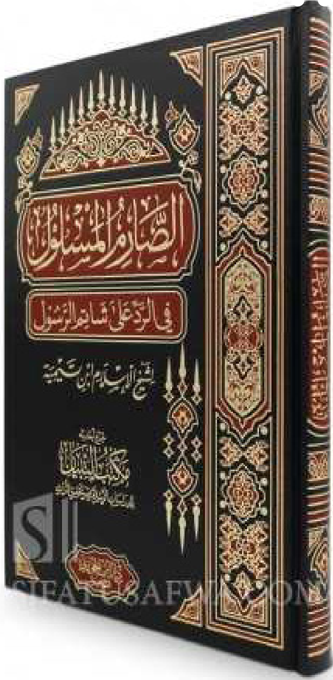
ونهى عن التعرض لهم، فقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه[٦]».

ولأجل ما تقدم من نصوص الوحيين في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، كان أئمة السلف -رحمهم الله- يحذرون أشد التحذير من الخوض في شيء من أخطاء الصحابة رضي الله عنهم، مع اعتقادهم بأنهم ليسوا بمعصومين على مستوى أفرادهم، وقد يوجد من آحادهم أخطاء، هم فيها بين الأجر والأجرين، وإنما قال السلف هذا وأكدوه؛ لأنهم أدركوا ورأوا بأعينهم أن الوالج في هذا الباب لا ينتهي به الأمر إلا إلى هدم الشريعة!


بيوت الصحابة في مكة

٤. البخاري ح (٢٦٥٢)، مسلم ح (٢٥٣٣).
٥. صحيح مسلم ح (٢٤٣١).
٦. البخاري ح (٣٦٧٣)، مسلم ح (٢٥٤٠).

يقول الإمام الجليل أبو زرعة رحمه الله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ! وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة! والجرح بهم أولى، وهم زنادقة».



وقال الإمام أحمد رحمه الله: «ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساويه، كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم، ويكون قلبه لهم سليماً»[٧].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله فيمن زعم أنهم ارتدوا بعد الرسول ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم: «فهذا لا ريب أيضاً في كفره؛ فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الأمة التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وخيرها هو القرن الأول -كان عامتهم كفاراً أو فساقاً- ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام؛ ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيء من هذه الأقوال، فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله فيهم مثلات»[٨]. اهـ.

---

٧. أصول السنة، لأحمد بن حنبل (ص ٥٤).
٨. الصارم المسلول (٣/١١١٠- ١١١١).

ومن دقيق فهم الإمام مالك رحمه الله للقرآن أنه قال في قوله تعالى عن الصحابة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال رحمه الله: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته هذه الآية[٩]».



فليعرف المؤمن لأصحاب نبيه ﷺ قدرهم، وليحذر من الاستماع أو المشاهدة لتلك القنوات التي تثير الشُّبه حول أصحاب النبي ﷺ، فخير للمؤمن -والله- أن يلقى ربه وقلبه سليم لعموم المؤمنين، فكيف بأصحاب النبي ﷺ؟! وليحفظ المسلم ثناء الله على أصحاب نبيه ﷺ ورضاه عنهم، ولا يكن في قلبه غل على أحد منهم؛ فإن هذا من أعظم خبث القلوب.

اللهم اجعلنا ممن دخل في قولك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، واجمعنا بصحابة نبيك ﷺ في دار الكرامة، فإنّا -وأنت خير الشاهدين- قد أحببناهم وواليناهم، وكرهنا وأبغضنا من أبغضهم.

٩. الرواة عن مالك، للرشيد العطار (ص٢٥٩)، وانظر: «الشفا»، للقاضي عياض (١٢٠/٢).

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

@ AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي